

مجلة البيان - العدد ١١ ، شعبان ١٤٠٨ هـ / أبريل ١٩٨٨ م

الافتتاحية

كلما أوقدوا ناراً للحرب .. أطفأها الله

إن سيطرة اليهود على فلسطين ، وما أصاب أهلها وما حوالها من البلاد من نذل وتشريد وقهر نتيجة ظلم اليهود وأنصار اليهود.. كل ذلك هو محنة وابتلاء للمسلمين، يبتلئ الله به عباده بسبب تقصيرهم في الدفاع عن حرمتهم. وفي الابتلاء يسقط قوم، وينجح آخرون، أما الذين يسقطون فهم الذين يكونون عوناً للعدو في نشر فكره ومشابهة أخلاقه ، ويكونون عيناً له على أبناء جلدتهم يبيعونهم لقاء عرض من الدنيا قليل، ويتاجرون بدماء شعوبهم من أجل التمكين لأنفسهم. أما النكاية بالعدو فأخر ما يفكرون فيه. ومن هؤلاء الذين يؤمنون بسياسة الأمر الواقع ، ويدركهم التعب من طول الطريق ومشقة السير ، فيطرحون الحلول التي يرضى عنها الأعداء كي يظهروا أناساً واقعيين غير متعصبين.

وأما الذين ينجحون فهم الذين يعتبرون المحنة فرصة لتمييز الخبيث من الطيب من النفوس ، ويصبرون على البلاء دون تذمر أو عجلة ، ويرجعون إلى عقيدتهم ودينهم الذي يتفق مع منطق التاريخ وقوانين الصراع ، ويرون أن وجود اليهود في فلسطين - ولو استظهروا بكل قوى الكفر ، شرقية وغربية - مخالف لمنطق التاريخ وسننه الجارية.

لقد أراد اليهود وأنصارهم أن يقطعوا صلة المسلمين في فلسطين بربهم ، ووضوا من الخطط للقضاء على هذا الشعب وتشتيته الشيء الكثير.. لكن إرادة هؤلاء ليست مطلقة ، حتى ولو ملكوا ما شاءوا من المال والسلاح ؛ لأن الله وإن أمد للظالم ، فهو - سبحانه وتعالى - لا يتركه يتمادى بظلمه وجبروته إلى الأبد ، ولأن الباطل مهما علا وعربد وانتفش فإن الحق غالبه لا محالة.

لقد كانت - وما زالت - محنة رهيبية أن يصول اليهود ويجولوا في الأرض التي بارك الله فيها ، محنة لا لمن يستوطن هذه البقاع فقط ، بل لكل مسلم على وجه الأرض. وكان هناك بدهية مستقرة عند أغلب المسلمين ، وهي أن سيطرة اليهود على فلسطين بمساعدة الغرب الصليبي ليست إلا مرحلة من مراحل الصراع الطويل بين الإسلام من جهة ، وبين الصليبية الغربية من جهة أخرى. وهذه السيطرة تحقق عدة مكاسب ، فهي تساعد على بناء قاعدة متقدمة للمستعمرين الأوربيين ، وتكون عامل إضعاف مستمر للقوى العربية الإسلامية بأيد غير صليبية ، وإن كانت أمينة على تطبيق القيم والمفاهيم الغربية. ولا غرابة في ذلك ؛ فاليهودية والصليبية تشتركان في عمق فكري واحد.

وكان في تغييب الإسلام عن التأثير في مجرى الأحداث - منذ أن اكتسح الغرب الصليبي البلاد الإسلامية ، وخصوصاً منها التي كانت واقعة ضمن الدولة العثمانية - جناية كبرى على هذه البلاد وعلى شعوبها التي أريد أن تزدهر بينها كل الدعوات ما عدا الإسلام ، و تنتفس في أجوائها كافة البدع ، واستثني الإسلام بكل صلف وخسة ، وطوردت كل دعوة صادقة للحفاظ عليه عقيدة للأمة ، ووسيلة عملية وهدفاً ، لا مجرد تراث للتغني والمزايدة.

في مثل هذا الجو أصبح أعداء الإسلام وتلامذتهم الجهلة يرددون مقولات كثيرة ليست إلا خيانة وتواطؤاً تلبس لباس التعالم والاستهزاء بعقول الناس مثل :

التفريق بين اليهودية والصهيونية.

القومية العربية طريق تحرير فلسطين.

الدولة العلمانية هي مطلب الفلسطينيين.

بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد هو سبيل تحرير فلسطين.

نضال الطبقة العاملة هو سبيل التحرير.

إلى غير ذلك من الشعارات التي لا تكاد تحصى ، والتي تنتشعب في متاهات لا تنتهي ، ولا يجمعها إلا شيء واحد فقط هو الكيد للإسلام وأهله في هذه البلاد.

وفي ظل هذه الدعوات والشعارات وصل العرب إلى مستوى لا يحسدون عليه ، فتبددت طاقاتهم ، وتفرقت كلمتهم وزالت هيبتهم.

ففي الوقت الذي سودت فيه آلاف الصحائف في الدعوة إلى الوحدة على مستوى العالم العربي ؛ كان داء الإقليمية يستشري ويمد جذوره عبر هذا العالم الذي تعصف به الأهواء ، وتتوزعه القوى الكبرى بعيداً عن رغبات شعوبه.

لكن على الرغم من كل هذا فإن هناك حقيقة تستعصي على التجاهل وهي أن المحرك المركزي لهذه الشعوب هو الإسلام ، وأنه العقيدة التي لا يورث الفقر عنها ومحاولة تجاوزها إلا الذل والضياع.

فقد غبر العرب زماً يولون وجوههم قبل المشرق والمغرب ، ولم يحصدوا ممن استنصروا بهم إلا الخيبة والشماتة والبوار.

تشبثوا ببريطانيا فخذلتهم ، وها هم يتمرغون على أعتاب وريثها أمريكا ، والنتيجة ماثلة للعيان : ضياع للمقدرات ، واستنزاف للطاقات ، وصورة قاتمة عن الإسلام وعن العرب ترسمها الصحافة اليهودية والصليبية المسيطرة في أوروبا وأمريكا.

ومنذ أواسط الخمسينيات اتجه العرب نحو روسيا الشيوعية ، وحدثتهم أنفسهم

المضللة بأن روسيا هذه ستنصفهم من الظلم الواقع عليهم من قبل الغرب ، بل إن

منهم من منى نفسه أن يهب الروس ليقاتلوا معه نوداً عن حياض العرب بقنابلهم

النووية والهيدروجينية! مع أن هؤلاء الروس البلاشفة يعلمون حق العلم أن العرب

بوضعهم الحالي الضعيف - بعيداً عن عقيدة واضحة يتمسكون بها ، وينافحون عنها

بصدق - لا يساؤون أكثر من أجزاء لصفقة يحققون من ورائها نفوذاً على موائد المساومات مع القوى الغربية.

لقد أدرك الناس ذلك بكل وضوح ، وليس غريباً أن يعبر أهل فلسطين عن هذا الإدراك تعبيراً عملياً سمع به العالم كله. فقد وقع هذا الشعب ضحية القوى الصليبية العالمية التي ظاهرت الصهيونية على سلبه حقوقه وتشريد أكثريته في الآفاق، ووقع مرة أخرى ضحية انخداعه بالوعود المعسولة ، وكان يتعدى على الخطب ، ويتعشى بالشعارات ، وينام على حلم يداعب أجبانه بـ "صلاح دين" آخر يأتي من الشرق، وبـ "قطز" جديد يأتي من الجنوب أو الغرب. ولم يدر أن الذين وضع أمله فيهم لتحقيق هذا الحلم ليسوا من هذا الأمر في كثير ولا قليل. فالأمر على زمان صلاح الدين وقطرز كان أسهل! ولم تكن هناك حدود ، وقانون دولي ، وهيئة أمم ، ومجلس أمن...! عجباً! كيف ظن الفلسطينيون أن هناك من يمكنه أن يتحدى ما يسمى "بالشرعية الدولية"؟!.

لقد أدرك أهل فلسطين ذلك جيداً ، فرأوا أن يبادروا الأمر بأنفسهم - وحسناً فعلوا - فتركوا أمر الحسابات لأصحاب الحسابات ، وحملوا عقيدتهم الإسلامية يستلهمونها الثبات ، وأعرضوا عمن سرقوا صبرهم داخل الحدود وخارجها من شيوعيين وعلمانيين ، وقرروا أن ينطلقوا من المسجد وأن يلجئوا إليه.

وهكذا تبدو لهذا الشعب عدة حقائق جديرة بالتوقف عندها :

فقد أدركوا أن المحرك الفعلي للجهاد والكفاح هو الإسلام ، وأن الشيوعيين الكذبة هم حلفاء اليهود ، وقفوا معهم منذ البداية ، ويرون في إسرائيل دولة وجدت لتبقى.

وأن دعاة القومية العلمانيين هم صنائع للإنكليز ، يكاد يقتلهم اللهاث وراء الحلول الاستسلامية التي يعدهم بها أولياؤهم من الصليبيين.

وعلى الرغم مما يظهر من شعور بالهلع لدى من نصبوا أنفسهم متكلمين باسم هذا الشعب ؛ لأنهم وجدوا كل متاجرتهم السابقة لم تفد شيئاً ، فتحركوا بنشاط إعلامي واسع لاحتواء دوافع الانتفاضة ، ومن ثم التأثير على توجيهها الوجهة التي يريدون ؛ فإن مما يبشر بالخير إدراك الشباب الفلسطيني المسلم إفلاس دعاة العلمانية الذين فاجأتهم أحداث الضفة الغربية وغزة ، فسارعوا وسط الحيرة يتدبرون أمرهم ليطوقوا هذا الواقع الجديد.

ولكن.. هل يستمر حبل الأكاذيب إلى ما لا نهاية؟!
يأبى الله ذلك... ويأبى المؤمنون الذين يستمدون منه - وحده - العون و التسديد.

مجددون معاصرون

حفل عصرنا الحديث بكوكبة مباركة من المجددين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وثبتوا على الحق الذي آمنوا به ودعوا الناس إليه ، وصبروا على كل نصب ومخمصة.. ولهذا فلقد التف الناس حولهم ، واستجابوا لمطالبهم النبيلة ، ووثقوا بهم أشد الثقة.. وإذا كان من المتعذر علينا فيما تبقى من هذا البحث تناول أسمائهم كلها فليسوف يكون حديثنا قاصراً على الأسماء التالية :

- محمد رشيد رضا.

-عبد الحميد بن باديس.

-العربي بن بلقاسم التبسي.

- حسن البنا.

-سيد قطب.

-محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

- عبد العزيز بن باز.

- محمد ناصر الدين الألباني.

ونظن أن بعض قرائنا الكرام سوف يستغربون اختيارنا لهذه الأسماء، وربما قالوا: لقد أوقفنا كُتَّاب هذه المجلة في حيرة فهم يتحدثون عن التزامهم منهج أهل السنة والجماعة ثم يشيدون برجال بعضهم لم يلتزم في دعوته أصول هذا المنهج؟! وجوابنا على ذلك : إننا ننطلق من منهج أهل السنة والجماعة، وهو مقياسنا في الحكم على الرجال، ومن خالف هذا المنهج سنقول له : أخطأت والصحيح عكس ما قلته واجتهدته، والمجدد ليس معصوماً عن الخطأ ، والخطأ في مسألة لا يخرج المجتهد من إطار أهل السنة والجماعة إذا كان من الداعين له.. والذي نريده من إخواننا القراء أن يمهلونا حتى ننتهي من كل ما نريد أن نقوله في هذا البحث ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

عودة إلى الحديث عن رشيد رضا

ولد محمد رشيد رضا في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ في قرية "القلمون" التي تبعد عن مدينة طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، ودخل المدرسة الرشيدية في طرابلس ثم تركها بعد سنة ودخل المدرسة الوطنية الإسلامية، وتعلم على الشيخ حسين الجسر مدير المدرسة الذي كان له إمام واسع بالعلوم العصرية ، وكان في أول نشأته يميل إلى التصوف كما كان شديد الإعجاب بكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.. ثم ظفر - على حد قوله - بنسخة من جريدة العروة الوثقى في أوراق والده فأعجبه ، وكتب إلى جمال الدين الأفغاني الذي كان يقيم في الأستانة لكنه لم يجتمع به ، ثم اجتمع بالشيخ محمد عبده أثناء زيارته لطرابلس الشام، ثم

رحل إلى مصر في رجب سنة ١٣١٥هـ، الموافق سنة ١٨٩٨ م ، وفي العام نفسه أصدر مجلة المنار التي استمرت حتى سنة ١٣٥٤ هـ، الموافق عام ١٩٣٥ م. وكان عضواً في الحكومة السورية الأولى التي أقامها فيصل بن الحسين بعد الحرب العالمية الأولى ، فلما استولى الفرنسيون على سورية وسقطت هذه الحكومة عاد إلى مصر ، وأعاد إصدار مجلة المنار بعد توقفها. مات أستاذه محمد عبده سنة ١٣٢٣ هـ، الموافق سنة ١٩٠٥ م، وهذا يعني أنه عاش في صحبته حوالي سبع سنين ، واستمرت المنار ثلاثين عاماً بعد موت محمد عبده ، واستمر عطاء رشيد رضا الذي يكاد لا ينضب ، وخلال هذه المرحلة صلح حاله وأقبل على كتب السنة ينهل منها، ويعترف في مقدمة المنار بأنه خالف منهج محمد عبده بعد وفاته:

" هذا وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة..".

كانت مجلة المنار سجلاً تاريخياً لأحداث العالم الإسلامي طيلة أكثر من ثلث قرن ، وكان رشيد رضا هو المنار بتحليلاتها السياسية ، ودراساتها الشرعية .. ولهذا فلقد كان يواصل الليل مع النهار من أجل أن تخرج المنار في مطلع كل شهر .. والعجيب أنها كانت تخرج كثيفة المحتوى ، كثيرة الفائدة ، وكان بعيد النظر في تعليقاته ومواقفه، غزير المادة، كما كان أسلوبه قوياً متماسكاً.

قال شكيب أرسلان :

" ويطول العهد بعد الأستاذ الأكبر السيد رشيد - فسخ الله في أجله - حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسده في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معاً والجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل ، العصرية والتطبيق بين الشرع والأوضاع المحدثه مما لا شك أن الأستاذ الأكبر فيه نسيج وحده انتهت إليه الرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية والقلم السيل بالفوائد في مثل نسق الفرائد والخبر بطبائع العمران وأحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدنية وأساليبها وأنواع الثقافات وضروبها إلى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصماً مهما علا كعبه إلا أفحمه وألزمه ولا نازل قرناً كان يستطيل على الأقران إلا رماه بسكاته وأجمه. وأجدر بمجموعة " المنار " أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها " (١).

دعوة الشيخ رشيد :

نعيد للأذهان أننا نتحدث عن دعوة الشيخ رشيد رضا في المرحلة التي تلت وفاة شيخه محمد عبده (١٩٠٥ - ١٩٣٥)، ونلخص أهم ما دعا إليه في النقاط التالية:

١- كان ملتزماً بمنهج أهل السنة والجماعة، وكان يحرص على أخذ أدلته من الكتاب والسنة، ويهتم بتخريج الأحاديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف أو الموضوع، وانتهج مذهب السلف في الأسماء والصفات.

٢- من أهم ما دعا إليه نبذ التقليد، والتحذير من البدع والخرافات، والتنديد بمناهج الصوفيين وبيان ما وقعوا فيه من انحرافات وضلالات. وموقف رجال عصره من البدع والتقليد يختلف عن موقف رجال وعلماء عصرنا.

لقد عاصر رحمه الله هيمنة أصحاب البدع والخرافات على شئون العالم الإسلامي ومقدراته، فالسلطان عبد الحميد كان صوفياً نقشبندياً، وبقره قبع أبو الهدى الصيادي يأمر وينهى مدة لا تقل عن ثلاثين عاماً وكان يوغر صدر السلطان عبد الحميد ضد كل جديد ومجدد.. وكان اسم وظيفته الرسمية مشيخة المشايخ أو شيخ مشايخ الطرق الصوفية ونقيب الأشراف.

وفي مصر خاض السيد رشيد معركة حامية الوطيس ضد الخرافيين. والمبتدعين.. وردوا من جهتهم له الصاع صاعين، وحاولوا تشويه سمعته، وبالغوا في الإساءة إليه، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: كان رشيد رضا أول داعية في العصر الحديث يتصدى للمبتدعين والخرافيين، وكان ينطلق في مواجهتهم من التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة.

٣- كان بارعاً في ربطه بين التصورات والمفاهيم الإسلامية، وبين واقع العصر وذلك لأنه كان من العلماء المعدودين في عصره، وكان باعه طويلاً في العقائد والتفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية، كما كان إمامه بمشكلات العصر جيداً وذلك بسبب أسفاره ومخالطته لعدد من علماء الغرب وفلاسفتهم، وكان يعرف أفكارهم وطروحاتهم، وله ردود جيدة عليهم في كتابه "الوحي المحمدي" وفي مجلة المنار.

٤- وكما قلنا في العدد الماضي كان داعية من دعاة الإصلاح، لقد هاجم الترف والإسراف، وحذر من الجهل والتخلف والخوف من الظالمين، ونادى بالشورى وندد بالاستبداد والمستبدين، ودعا علماء الأمة إلى القيام بواجبهم في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مأخذنا عليه :

١- ذكر في كتابه " تاريخ الإمام " العجب العجاب عن جمال الدين الأفغاني وعن محمد عبده.

- ذكر انتسابهما للمحفل الماسوني، وذكر في الجزء الثاني مفاوضات محمد عبده مع القسيس الإنجليزي إسحاق تيلور ، وفي الجزء الأول ذكر اشتراك اليهود في هذه المفاوضات التي كان هدفها توحيد الأديان ، والتقريب بين الإسلام والنصرانية!!
- وذكر حوار محمد عبده مع عباس ميرزا أحد زعماء البهائيين ونبيهه - أي رشيد رضا - إلى انحرافات البهائيين فأجاب تلميذه لم أفهم من عباس أفندي شيئاً من هذا!!
- وكان ملتصقاً بمحمد عبده ويعرف صلته بحزب الأمة واللورد كرومر، والجاسوس الإنجليزي الخطير "ولفرد بلنت"، ويعرف أيضاً تردد شيخه على صالون الأميرة نازلي داعية التبرج والسفور .. كان رشيد رضا يعرف كثيراً عن انحرافات محمد عبده ومع ذلك قال في ثنائيه عليه :

" وإنني وايم الحق لم أطلع له على عمل إلا الحقيق بلقب المثل الأعلى من ورثة الأنبياء .. وقال أيضاً : إن هذا الرجل أكمل من عرفت من البشر ديناً وأدباً ونفساً وعقلاً وخلقاً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً ، وإن من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب ، وإنه لهو السري الأحودي العبقري " (٢).

ولا ندري هل هذا رأي رشيد رضا الحقيقي بشيخه رغم أخطائه الفادحة التي تتعارض مع المنهج الذي كان يتبناه ويدافع عنه ويشن حملات عنيفة ضد مخالفيه من المبتدعين المقلدين ... أم أن المجاملة حالت بينه وبين الاعتراف بالحق؟!
٢ - بقيت بصمات محمد عبده ظاهرة فيما كان يكتبه رشيد رضا بعد وفاة الأول ، ومن الأمثلة على ذلك تأويله لمعجزة انشقاق القمر رغم تخريج البخاري ومسلم لها ، وتضعيف كثير من الأحاديث التي لا تتفق مع آراء أصحاب المدرسة الإصلاحية كما أنه صحح بعض الأحاديث الضعيفة التي تتفق مع أفكاره التي كان ينادي بها (٣). لكنه مع ذلك لم يتخلى عن منهج أهل السنة وكما يقولون : لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة.

٣ - لم يكن موقف رشيد رضا من الدولة العثمانية سليماً ، ومن آثار هذا الموقف المؤسف قبوله الاشتراك في أول حكومة سورية بعد الحرب العالمية الأولى، وأهداف هذه الحكومة لم تكن خافية على أمثال رشيد رضا ، بل وكثير من رجالات هذه الحكومة معروفة انتماءاتهم العالمية المشبوهة.

ولو أن رشيد رضا وقف عند حد نقد سياسة السلطان عبد الحميد وإطلاقه لأيدي الخرافيين والمستبدين ، أو أنه وقف عند حد نقد رجالات الاتحاد والترقي لما وجدنا في هذا أو ذاك غلواً منه، ولكن موقفه تجاوز هذا الحد ولم يكن صائباً في موقفه، وكان المنتظر منه غير ذلك لطول باعه في معرفة أحوال العصر ، ولا ندري إلى متى يستمر جهل كثير من العلماء بالسياسة؟ وإن كان موقف رشيد رضا هنا ليس ناتجاً عن الجهل.

لماذا بدأنا برشيد رضا؟ :

يبقى الشيخ رشيد رضا رغم أخطائه عالماً كبيراً من كبار علماء أهل السنة ، ومن يتحدث عن التجديد في العصر الحديث لا بد أن يذكر مجلة المنار وصاحبها إذا كان جاداً ومنصفاً في بحثه. ولقد تأثر به علماء كبار مشهود لهم بالفضل والخير والعدل. نذكر منهم الآتية أسماؤهم.

١- أسندت رئاسة تحرير مجلة المنار بعد وفاة رشيد رضا إلى العلامة السلفي الشيخ محمد بهجت البيطار أحد كبار علماء بلاد الشام ، وذلك بسبب الروابط القوية التي كانت تربطه بمؤسستها ، ولأنه خير من يخلفه في هذه المهمة ، وقد أشاد الشيخ بهجت برشيد رضا ومنهجه في تقييظ له لكتاب الوحي المحمدي وفيما كتبه في المنار.

٢ - قال العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: " السيد محمد رشيد رضا ، رحمه الله له فضل كبير على العالم الإسلامي ، بصورة عامة ، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة ، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار ، .. ويقول أيضاً : فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل ، لذوي الفضل ، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة ، ليطلع عليها من بلغته ، فإنني بفضل الله عز وجل ، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم " (٤).

٣ - أسندت رئاسة تحرير المنار بعد توقف دام ثلاث سنوات إلى الشيخ حسن البنا رحمه الله ، ويقول الأستاذ محمود عبد الحليم: " لم يكن الشيخ حسن البنا غريباً على أسرة الشيخ رشيد فقد كان على صلة بالشيخ منذ كان طالباً بدار العلوم وكانت دار مجلة المنار ملتقاه بأكثر من التقى بهم من رجالات الحركة الإسلامية في ذلك العهد ، واتخذت أكثر القرارات في مواجهة المؤامرات ضد الإسلام في هذه الدار... وظل الأستاذ حسن البنا على اتصال بالشيخ رشيد بعد قيام دعوة الإخوان ، وكان يستشيره في كثير من الأمور " (٥).

وكتب الأستاذ البنا يقول : " وقد عز على الإخوان أن يخبو ضوء هذا السراج المشرق بالعلم والمعرفة من اقتباس الإسلام الحنيف ، فاعتزموا أن يتعاونوا مع ورثة السيد رحمه الله على إصدار المنار من جديد ، وقد تم الاتفاق على ذلك وصدر العدد الخامس من السنة الخامسة والثلاثين في غرة جمادى الآخر سنة ١٣٥٨ الموافق ١٨ يوليو سنة ١٩٣٩: أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر ، وتلاه خمسة أعداد أخرى تمت بها السنة الخامسة والثلاثون من المجلة.. ".
ومما كتبه شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي في افتتاحية العدد الخامس :

"والآن وقد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيد سيرته الأولى فسرني هذا فإن الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه ، يفهم الوسط الذي يعيش فيه ، ويعرف مواعيد الداء في جسم الأمة الإسلامية ويفقه أسرار الإسلام ، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة ، وبعد فإني أرجو الأستاذ البنا أن يسير على سيرة السيد رشيد رضا ، وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا ، والله هو المعين ، عليه نتوكل وبه نستعين" (٦).

٤ - تعتبر جمعية العلماء في الجزائر ، امتداداً لدعوة رشيد رضا في مصر وبلاد الشام ، فرائس الجمعية ونائبها - في عهد ابن باديس - البشير الإبراهيمي ، قال : إن جمعية العلماء مدينة بالكثير لرشيد رضا ومجلته المنار ، وكان قد التقى به في دمشق خلال إقامته فيها (١٩١٦-١٩٢٠) (٧) ... ويستعيد الإبراهيمي ذكرياته مع ابن باديس فيقول :

" ولا أنسى مجلساً كنا فيه على ربوة من جبل قاسيون في زيارة من زيارته لي ، وكنا في حالة حزن لموت الشيخ (رشيد رضا) قبل أسبوع من ذلك اليوم ، فذكرنا تفسير المنار ، وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلت له : ليس لإكماله إلا أنت ، فقال لي : ليس لإكماله إلا أنت ، فقلت له : حتى يكون لي علم رشيد ، وسعة رشيد ، ومكتبة رشيد ، ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد . فقال لي واثقاً مؤكداً : إننا لو تعاوننا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيراً يغطي على التفسير من غير احتياج إلى ما ذكرت " (٨).

ومن خلال رسائله الشخصية التي كان يرسلها لصديقه شكيب أرسلان ، والتي جمعها الأخير في كتاب أسماه " السيد رشيد رضا أو إضاء أربعين سنة " نعلم متانة الروابط التي تربط رشيد رضا مع علماء وقادة المغرب العربي كله.

٥ - تصدى رشيد رضا للدعاية المناوئة لعلماء نجد ، وكان يطلق عليهم في رسائله إلى شكيب أرسلان الوهابية ، وعندما انتشرت الأراجيف ضدهم بعد افتتاح الطائف وزع ألوفاً من رسالة " الهدية السنوية والتحفة النجدية" ونشر مقالات في الدفاع عنهم والرد على خصومهم ، وقد قال له شيخ الأزهر أمام ملائم العلماء : "جزاك الله خيراً بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية " (٩). واستمرت صلات رشيد رضا مع علماء نجد وزعمائها إلى أن لقي وجه ربه ولقد كانت موته بينهم.. وكانت له مثل هذه الصلات مع السلفيين في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

٦ - وعندما أصدر علي عبد الرازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم" الذي تحمس له العلمانيون أشد التحمس ، كان الكاتب يرد في بعض ما كتبه على رشيد رضا في كتابه "الخلافة أو الإمامة العظمى" الذي نشره في المنار قبل إلغاء

أتاتورك للخلافة ، وبيت القصيد أن العلمانيين كان يمثلهم علي عبد الرازق والإسلاميين كان يمثلهم رشيد رضا .
 ٧ - بعد وفاته أقيمت له حفلات تأبين (١٠) في كل من مصر ، وتونس ، وبغداد ، ودمشق ، وتبارى عدد من علماء الأمة وزعمائها في هذه البلدان في إلقاء الكلمات التي عددوا فيها مآثر الفقيه . وفي هذا كله دليل على علو مكانته ، وتقدير الناس لدوره القيادي الذي استمر حوالي أربعين سنة .
 ولهذا ففي حديثنا عن المجددين المعاصرين بدأنا برشيد رضا ، لأن الذين سنذكرهم استفادوا منه ، ولأنه كان ملتزماً بمنهج أهل السنة ومن أراد العودة إلى مؤلفاته فعليه أن يتذكر غلطاته التي أشرنا إليها "مأخذنا عليه" ونسأل الله أن يغفر له ويرحمه .

الهوامش :

- ١ - حاضر العالم الإسلامي : المجلد الأول ، الجزء الأول ، ٢٨٤٩ ، والسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة تأليف شكيب أرسلان ، ص ١٥ ، مطبعة ابن زيدون بدمشق .
- ٢ - انظر كتاب عبقرية الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، لمؤلفه عباس محمود العقاد ، ص ١٩٠ ، مكتبة النهضة بمصر .
- ٣ - أشار الشيخ ناصر الألباني إلى ذلك ، انظر حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ص ٤٠٠/١ - ٤٠٥ ، الدار السلفية ، الكويت ، وللشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله رسالة في الرد على رشيد رضا ، اسمها الروضة النذية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية وهي رد على أحمد محمد محجوب وفتوى الربا والمعاملات في الإسلام " لرشيد رضا " .
- ٤ - حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه : ١ / ٤٠٠ - ، وذكر الشيخ ناصر في المصدر نفسه بعض أخطاء رشيد رضا .
- ٥ - انظر كتاب : الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٦ . لمؤلفه محمود عبد الحليم .
- ٦ - مذكرات الدعوة والداعية ، حسن البنا ، ص ٢٥٣
- ٧ - سجل مؤتمر جمعية العلماء ، ص ٣٧ عن كتاب جمعية العلماء وأثرها الإصلاحية في الجزائر ، د. أحمد الخطيب ، ص ١٤٩ ،
- ٨ - مقدمة تفسير ابن باديس ، ٢٦ ، نشر دار الفكر .
- ٩ - السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، شكيب أرسلان ، ص ٣٦٦ الناشر مطبعة ابن زيدون بدمشق .

١٠ - حفلات التأبين ليس لها أصل شرعي وإنما نذكرها لبيان مكانة رشيد رضا بين صفوف الدعاة والعلماء.

زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه

د. مسفر بن غرم الله الدميني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد .

فقد حفظ الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً ، ومن مظاهر ذلك الحفظ ما قام به علماء الأمة من السلف الصالح - حيث اعتنوا بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حفظاً وتدويناً ونشراً له وتعليماً ، فمنهم من اعتنى بالصحيح فأفرده - كالبخاري ومسلم - ومنهم من ضم إليهما دونه - كأصحاب السنن والمسانيد - ومن هؤلاء الأئمة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه ، مصنف كتاب "السنن" الذي عدّه العلماء رابع السنن الأربع وسادس الكتب الستة.

وقد روى عنه كتاب السنن هذا عدد من العلماء منهم :

- أبو الحسن القطان.

-وسليمان بن يزيد القزويني.

-وأبو جعفر محمد بن عيسى المطوعي الأبهري.

ويبدو أن الروايات غير رواية " أبي الحسن " قد انقطعت ، فلم يبق متنها سوى رواية أبي الحسن القطان هذه ، وهي التي اعتمدها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي عند طبعه وترقيمه للكتاب ، واعتمدها الدكتور محمد مصطفى الأعظمي عند طبعه وفهرسته أيضاً للسنن.

وأبو الحسن هو: علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني ، القطان (٢٥٤ -

٣٤٥هـ) أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، فقد جاء في ترجمته أنه كان يحفظ مائة ألف

حديث ، وقال عنه الذهبي. الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام... عالم قزوين..

جمع وصنف وتفنن في العلوم وثابر على القرب... "

ولما كان رحمه الله تعالى في هذه المنزلة العالية من العلم والحفظ ، وكان ممن سمع

من أبي عبد الله بن ماجه سننه ، ومن طريقه - اليوم فقط - يتصل الإسناد؛ فإنه عند

روايته سنن ابن ماجه لطلابه ربما كان عنده للحديث الذي يرويه لهم من السنن

إسناد آخر عال من غير طريق ابن ماجه يلتقي معه في شيخه أو من دونه ، فتراه يسوق إسناده العالي عقب روايته لحديث ابن ماجه ، وهنا يروي الراوي عنه تلك الزيادات مضمومة إلى أحاديث السنن نفسها ، وهذا منه - رحمه الله تعالى - يشبه عمل أصحاب المستخرجات ، وربما زاد حديثاً مستقلاً بإسناده ومنتته - وهذا قليل - بلفظ حديث ابن ماجه أو بنحوه .

ويجد المطالع للسنن تلك الزيادات بنوعيتها مصدره بقوله : قال أبو الحسن ، أو : قال القطان ، أو قال أبو الحسن بن سلمة ، أو : قال أبو الحسن القطان . والذي دفعني إلى كتابة هذه الأسطر ما صنعه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، والدكتور محمد مصطفى الأعظمي عند طبع كل منهما للكتاب ، فأما الأول منهما فقد جعل للأحاديث التي ساقها أبو الحسن بن سلمة بأسانيدھا ومتونها أرقاماً مسلسلّة مع أحاديث السنن ، فيحسبها الناظر من أحاديث سنن ابن ماجه جاءت في صورة التعليق ، أما الأحاديث التي ساق أبو الحسن أسانيدھا وأحال على أحاديث ابن ماجه المتقدمة لها في متونها فلم يجعل لها أرقاماً مستقلّة مسلسلّة ، بل ذكرها عقب أحاديث السنن ، لكنه بدأ بكل زيادة سطرأ جديداً .

أما الدكتور الأعظمي فجعل لكل زيادة- سواء تحمل إسناداً ومنتناً معاً ، أو إسناداً مع الإحالة على متن ابن ماجه - رقماً مسلسلّاً مع أحاديث السنن دون تفريق في نوع الحرف أو إشارة في الحاشية ، ولم يشر إلى ذلك إلا إشارة عابرة هي قوله في المقدمة :

"... وعدد أحاديثه أربعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً بما فيها من زيادات القطان .". وعملهما هذا - غفر الله لهما - يوهم بعض طلاب العلم أن الجميع من سنن ابن ماجه ، وأن تلك الزيادات من معلقات ابن ماجه عن أبي الحسن القطان ، بينما الأمر خلاف ذلك ، فأبو الحسن القطان تلميذ ابن ماجه ، وراوية سننه وليس شيخه ، وتلك الأحاديث الواردة في صورة التعليق من زيادات أبي الحسن القطان على كتاب شيخه ابن ماجه ، ثم إنها ليست معلقة بل مسندة له ، وربما التقى مع شيخه أثناء الإسناد وربما استقل بحديث تام بإسناده ومنتته .

ولما كانت زيادات أبي الحسن القطان هذه مدرجة مع أحاديث سنن ابن ماجه - كما قدمنا- بل إنها قد تأخذ رقماً مسلسلّاً مع تلك الأحاديث ، مما يوهم بعض طلاب العلم أنها من السنن لذلك رأيت أن أفردها بالذكر ليتنبه إليها من لا علم له بها ، ولتكون عند العارف بها مجموعة مستقلّة ، مرتبة حسب ورودها في السنن ، وقد سلكت في إيراد هذه الزيادات حال كل نوع منها ، فإن كانت الزيادة حديثاً كاملاً بإسناده ومنتته اكتفيت بنقله تاماً ، وإن كانت الزيادة كالحديث المستخرج - بحيث يلتقي أبو الحسن بن سلمة مع شيخه ابن ماجه أثناء الإسناد مع علو بدرجة أو أكثر - ثم يحيل على المتن الذي ذكره ابن ماجه قائلاً : بنحوه ، أو . مثله ، فإني أنقل

أولاً حديث ابن ماجه بإسناده ومتمنه ثم أتبعه زيادة أبي الحسن ، وذلك ليعرف القارئ موضع الالتقاء مع شيخه ، وليعرف أيضاً متن ابن ماجه الذي أحال عليه ، ولكني سأكتفي في هذا المقال - بإيراد الأحاديث التي جعل لها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أرقاماً مسلسلّة مع أحاديث سنن ابن ماجه ، وذلك لأنها زيادات مستقلة مشتملة على إسناد الحديث ومتمنه ، ثم أذكر أرقام الأحاديث التي استخرج عليها أبو الحسن زياداته تلك ، علماً بأن في النسخة المخطوطة التي اعتمدها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي من الأحاديث والزيادات ما ليس في النسخة التي اعتمدها الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، وكذلك العكس ، وسيجد القارئ قائمة تحوي أرقام الأحاديث المشتملة على الزيادات مقارنة ليسهل الرجوع إليها، ولتعرف الزيادات في كل طبعة.

أولاً : الأحاديث الزائدة :

٣٢١ - قال أبو الحسن بن سلمة : وحدثنا أبو سعد عمير بن مرداس الدونقي ، ثنا عبدالرحمن بن إبراهيم أبو يحيى البصري ، ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهاني أن أشرب قائماً ، وأن أبول مستقبل القبلة (١:١١٦).

٤٥١ - قال القطان : حدثنا أبو حاتم ، ثنا عبد المؤمن بن علي ، ثنا عبد السلام بن حرب ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ويل للأعقاب من النار» (١:١٥٤).

٥٩٦ - قال أبو الحسن : وثنا أبو حاتم ، ثنا هشام بن عمار ، ثنا إسماعيل بن عياش ، ثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لا يقرأ الجنب والحائض شيئاً من القرآن» (١: ١٩٦).

ثانياً :

أرقام الأحاديث التي استخرج عليها أبو الحسن القطان زياداته على السنن ، وذلك بذكر رقم الحديث في طبعة عبد الباقي والرقم الذي يقابله في طبعة الأعظمي :

رقم الحديث المشتمل على الزيادة رقم الحديث الذي يقابله في طبعة الأعظمي
في طبعة عبد الباقي

٢٢	٠٠
٨٤	٧٣
٠٠	٢١٣
٢٤٤	٢١٧
٢٤٤	٢١٨
٢٥٢	٢٢٧
٢٥٦	٢٣٢

٠٠	٢٥٧
٢٥٦	٢٦١
٢٥٧	٠٠
٢٨٢	٢٨٤
٢٩٩	٢٩٩
٣٠١	٣٠٠
٣٢٥	٣٢١
٣٢٨	٣٢٣
٠٠	٣٢٤
٣٣٢	٣٢٦
٣٥٥	٣٤٦
٣٦٠	٣٥٠
٣٦٧	٣٥٦
٣٧٠	٣٥٨
٣٨٧	٣٧٤
٤٠٣	٣٨٨
٤١٦	٤٠٠
٤١٩	٤٠٢
٤٣١	٤١٣
٤٦٤	٤٤٦
٠٠	٤٥١
٤٨٠	٢٦٢
٤٨٨	٤٦٩
٥٤٠	٥١٨
٠٠	٥٢٥
٠٠	٥٩٦
٦٢٤	٦٥٧
٠٠	٦٧٥
١٢٩٦	١٣٠٣

وقد جعلت هذه الزيادات بنصوصها ومواضعها مع ترجمة لابن ماجه وأبي الحسن القطان في رسالة لطيفة أسميتها " زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه " أرجو أن تطبع قريباً. صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

خواطر في الدعوة ولكن أصحابه لم يقوموا به!

محمد العبد

يروى عن الإمام الشافعي أنه قال في (الليث بن سعد) : " هو أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به " ومقصود الشافعي رحمه الله - أن أصحاب مالك نشطوا في نشر فقهه وعلمه ، وسمع به في الآفاق ، ولم ينشط تلامذة الإمام الليث بن سعد لمثل ذلك. ونحن إذا استبعدنا عامل الحسد والمنافسة من معاصري هذا الإمام فقد يكون السبب في ذلك هو غفلتهم عن تقدير مكانة شيخهم أو إهمالاً وضعفاً منهم في نشر آرائه العلمية ، وقد يكون للحسد دور أحياناً في إهمال الرجال وعدم الاستفادة منهم ، ولكن يبقى مرض الإهمال والغفلة من الأمراض المستحكمة خاصة إذا غلف بغلاف من سوء الفهم للنصوص التي وردت بزم المداحين ، ولا يذكرون النصوص الأخرى التي تشعر المسلمين وتنبههم إلى أهمية بعض الصحابة ومكانتهم العلمية أو القيادية حتى لا يقع الإهمال عن حسن نية. إن الإعلاء من شأن أهل الحق عدا عن أن فيه إزراء وفضاً من مكانة أهل الباطل ، حتى لا يرفع لهم ذكر ولا يقتدى بهم ، فهو كذلك مما يشجع الناس على الالتفاف والاستفادة من الدعاة والعلماء الذين ينتصبون أمثلة للمنهج السوي ، كما كانوا يقولون. " إذا رأيت أحداً يكره مالك بن أنس فاعلم أنه مبتدع " .. والجيل الذي لا يستفيد من الذين سبقوه ويبني علما بنوا ، ولا يقدر العلماء والناهبين ، سيكون مآل أمره إلى الفشل لأنه سيعود في كل مرة إلى نقطة الصفر ، ويعود إلى الأخطاء ذاتها ، وتكرر تجارب الفشل والنجاح ، وقد تبنت الأمة أحياناً بأمثال الحجاج بن يوسف الذي أذى الصحابي الجليل أنس بن مالك فكتب إليه الخليفة عبد الملك موبخاً : " والله لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً يخدم عزيز بن عزرا ، وعيسى بن مريم لعظمته وشرفته وكرامته ، بل لو رأوا من خدم حمار العزيز أو خدم حوارى المسيح لعظموه وأكرموه " .

وعندما أنكر الشيخ أبو محمد العز بن عبد السلام على ملك دمشق ما عزم عليه من الصلح مع الصليبيين ، أخذ وسجن ، ثم حمله الملك معه عندما ذهب لتوقيع هذا الصلح ، ووضعه في خيمة انفرادية ، وكأنه أراد أن يدلل على (حسن النوايا) فقال للمفاوضين : هذا الشيخ أنكر علي الصلح معكم فكان جوابهم: لو عندنا مثل هذا الشيخ لغسلنا قدميه وشربنا غسالتهما .

ونحن لا نطلب الغلو في الرجال كما يفعل النصارى ، فهذا من أبعد الأشياء عن الإسلام، ولكن لا يجوز لنا أن نغمطهم حقهم ، أو أن نطمس ذكرهم بكل ما أوتينا من الوسائل وعن غفلة وحسن نية أحياناً.

ونحن نرى بأعيننا مصداق ما قاله عبد الملك بن مروان وما يفعله الأوربيون الآن بعظماهم أو بكل من أسهم في نهضتهم ، ولا ينسون أحداً منهم، ولو كان عمله قليلاً، وهذا يذكرني بإهمال المجالات والصحف عندنا لذكر كبار علمائنا ، فعندما توفي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لم تذكره إلا صحيفة واحدة ، وفي زاوية صغيرة من صفحاتها ، وهؤلاء العلماء والدعاة لا يضيرهم عند الله أن يذكرهم الناس أو لا يذكرهم ، ولكن أليس من حقهم علينا أن نستفيد منهم ، وإذا لم نفعل هذا وبخسنا الناس أشياءهم ، أليس في ذلك ظلم لنا ولهم؟!..

البدعة وأثرها في الانحراف في الاعتقاد

الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع

الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ، وكما ينبغي لكمال وجهه ، والصلاة على رسوله الهادي إلى صراطه المستقيم بالحكمة والبصيرة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واستن بسنته وسلك سبيله إلى يوم الدين ، وبعد.

إن الله بفضله ورحمته وشمول رعايته خلقه قضى بإنقاذ عباده من مكاييد الشيطان ومخططاته ، فأرسل رسوله محمداً -صلى الله عليه وسلم- على فترة من الرسل وبعد أن تحولت الديانات السماوية بفعل الأحرار والرهبان إلى ديانات ممسوخة يمجها العقل وتأباها الفطر السليمة سواء ما كان منها متعلقاً بعلاقة العبد بربه أو ما كان متعلقاً بعلاقة العباد مع بعضهم ، فجاء -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورسولاً عاماً للثقلين الجن والإنس ، مؤيداً بكتاب كريم من رب رحيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيه العظة والعبرة ، وفيه الحكمة والموعظة ، وفيه الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وفيه التشريع الضامن لأحسن علاقة بين العبد وبين ربه، وبين العباد فيما بينهم، ضمن لهم الحفاظ على كامل الحقوق الأساسية - الدين والنفس والعقل والمال والعرض - وعلى كامل ما تفرع عنها مما يعود عليها بالكمال ورفع الحرج.

جاء -صلى الله عليه وسلم- كما وصفه ربه: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [التوبة: ١٢٨]، فبلغ -صلى الله عليه وسلم- رسالة ربه وأمانة من أرسله ، ونصح -صلى الله عليه وسلم- للأمة

النصح الكامل ، ما من خير إلا دل الأمة عليه وما من شر إلا حذرنا منه ، فانقاد لدعوته صلى الله عليه وسلم- صفوة مختارة من عباد الله ، آمنوا بالله ، وأخلصوا دينهم لله وجاهدوا مع رسول الله حق الجهاد مضححين في سبيل الله بأموالهم وديارهم وأهليهم ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، وحطم صلى الله عليه وسلم- الأصنام التي حول الكعبة وهو يقول ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) [الإسراء: ٨١].

وكان صلى الله عليه وسلم- مدركاً أن الشيطان حريص على نقض ما أبرمه - صلى الله عليه وسلم- من وحدة إسلامية ترجع في حياتها وفي تكييف علاقاتها إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ، وأن مداخل الشيطان على عباد الله مختلفة ومتنوعة ، فمن كان إيمانه ضعيفاً انقض عليه بخيله ورجله في التشكيك وطرح الشبهات في أصول الإيمان وفروعه حتى يرتد عن دين الله بالكفر والإلحاد والزندقة. وإن كان إيمانه قوياً لا مدخل عليه في التشكيك والزعزعة دخل عليه من باب الابتداع ومن باب الغلو في الدين وأتباعه كما هي حاله لعنه الله مع الأقباط والرهبان من اليهود والنصارى حيث انقادوا لوساوس الشيطان ومكائده وضلالاته ، فحرفوا كتب الله ، وغيروا مقتضيات شرعه ، حتى صارت ديانات ممسوخة ليس لها عند الله القبول ، قال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- مدركاً طرق غواية الشيطان وإضلاله فركز صلى الله عليه وسلم- لحماية هذا الدين على أمرين : أحدهما : التحذير من الغلو والإفراط في الدين ومجاوزة الحد في المدح والثناء إذا كان ذلك لغير الله ، ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال : «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله».

ولهما عنها قالت : لما نزل برسول الله-صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» - يحذر ما صنعوا - ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم يقول :«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- : ما شاء الله وشئت ، قال .«أجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده» . رواه النسائي وابن ماجه .

ولأبي داود عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- :«سبحان الله سبحان الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد» .

ولأبي داود بسند جيد عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : انطلقت مع وفد بني عامر إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقلنا : أنت سيدنا . فقال : «السيد الله تبارك وتعالى» . فقلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً . فقال : «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» .

فهذه الأحاديث وغيرها من عشرات الأحاديث ومئات أمثالها كلها تؤكد حرص رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على سلامة أمتة من وساوس الشيطان وخواطره وإيحاءاته وهمزاته ، وتحذر هذه الأمة أن يدخل الشيطان عليها مع مداخلة على من سبقها من الأمم من يهودية ونصرانية وغيرهما ، فإن أكبر باب للشيطان للضلالة والإضلال هو باب الغلو والابتداع . فلقد نهى -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن يتجاوزوا الحد في إطرائه ومدحه وتعظيمه ، وحمى جناب التوحيد من أن تدنس مقتضياته أو تطمس معالمه ، وأوضح في أكثر من مقام أن ضلال من قبلنا من اليهود والنصارى وغيرهم كان بسبب غلوهم في أنبيائهم وصالحهم حيث كانوا يتخذون المساجد على قبورهم ، فيعظمونها على سبيل العبادة ، وكانوا بذلك شرار الخلق عند الله ، وكانوا بذلك أبعد الخلق عن الله ، وكانوا بذلك أولياء الشيطان وحزبه . ((أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)).

ومع هذا الحرص الشديد من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتناقل علماء السنة الآثار الواردة في ذلك عنه -صلى الله عليه وسلم- وإشاعتها بين عباد الله إلا أن الشيطان كان دائم الحركة في سبيل الغواية والضلال والإضلال ، وقد وجد له من الصوفية والمتصوفة، من اتخذهم له أولياء واتخذوه لهم ولياً فغلوا في دين الله ،

وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ، فاعتقدوا النفع والضرر عند غير الله ، والمنع والعطاء لدى غير الله ، لدى مشايخ الطرق وأدعياء التصوف والدجل والشعوذة أحياء وأمواتاً ، وصرفوا للمخلوق مما هو محض حق الخالق حقوقاً لا تصح نسبتها إلا لله فهذا **البوصيري** يقول :

يا أكرم الخلق ما لي من أوذ به سواك عند حلول الحادث العم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا البرعي يقول :

يا سيدي يا رسول الله يا أملي يا موئلي يا ملاذ يوم تلقاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه عندي وإن بعدت داري وأوطاني

وهذا البكري يقول :

وناده إن أزمة أنشبت ظفارها واستحکم المعضل
عجل بأذهب الذي اشتكى فإن توقفت فمن أسأل؟!

وهذا رابع يقول :

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي يا عمدتي بل وا ذخري ومفتخري
فإنني عبدك الراجي بؤدك ماأملته يا صفي السادة الغرر
وبالرغم من حركات الشيطان في الغواية والإضلال ، وقدرته على اصطفاء
مجموعة من عباد الله ليكونوا أعواناً في الضلال والإضلال ؛ إلا أن الله يأبى إلا
أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فلقد وعد الله تعالى بحفظ كتابه من التحريف
والتغيير والتبديل ، وتم وعد الله فلقد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرناً
وهو محفوظ بكل وسائل الحفظ سراجاً منيراً ومحجة بيضاء ، كما أن الله تعالى
قيض لسنة رسوله (ص) رجالاً أتقياء أذكياء صالحين نقلوها إلى الأمة
الإسلامية نفية صافية وبذلك تحقق قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «تركتم
على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»؟ وقوله: «تركتم فيكم ما
إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنة رسوله» الأمر الثاني من الأمرين اللذين
ركز عليهما -صلى الله عليه وسلم- في حماية الدين : الابتداع في الدين.
لقد عرّف العلماء البدعة بأنها طريقة محدثة في الدين يضاهي بها أحد مقتضياته ، إلا
أن هذه المضاهاة تنطلق من معقول بشري محدود ليس له القدرة على استطلاع
حكمة الله في تشريعه ، ولا علم الله بما تصلح به أمور عباده ، يأتي العقل البشري
فيرى حسناً ما ليس بالحسن ويظن نقصاً فيما فيه الكمال ، فيقول اجتهداً أو
انسياقاً وراء هوى أو إغواء شيطان ما ليس في الدين في شيء مما هو محض
الإحداث والابتداع.

لقد كان صلى الله عليه وسلم- حريصاً كل الحرص على تجنب أمته شر الابتداع فأكثر من ذم الابتداع وحض الأمة على التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم- فقال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» .

وقال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي رواية : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»- وقال : «إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» .

ولم يكن منه صلى الله عليه وسلم- إلا أن التشريع مكتمل فما من خير إلا ودل الأمة عليه ، وما من شر إلا حذرهما منه ، وقد حكى الله سبحانه وتعالى كمال الدين فقال : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) فلقد وقف صلى الله عليه وسلم- يوم عرفة في حجة الوداع ومعه جمع كبير من أصحابه ، فذكرهم ووعظهم وبين لهم ما على العبد من حقوق الله وحقوق لعباده ، وكان صلى الله عليه وسلم- في كل أمر يقول لهم : «ألا هل بلغت اللهم فاشهد»؟ ثم انتقل صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة أتم بلاغ ، وأدى الأمانة أتم أداء ، ونصح للأمة النصح البالغ ، وبين لهم حبال الشيطان ووساوسه وخواطره ومكائده ومدخله على العباد . لا شك أن الابتداع الطريق القصير إلى تشويه الدين وطمس معالم الإشراق فيه ، والتحكم على الله وعلى رسوله ، والاشتراك مع الله تبارك وتعالى في التشريع بما لم يأذن به الله ، وفضلاً عن هذا الأثر السيء للابتداع فإنه يستلزم أموراً مهينة أهمها ما يلي :

أولاً : القول بلسان المقال أو بلسان الحال : أن الدين ناقص وأن هناك جوانب تكميلية ينبغي الأخذ بها تكملة للدين ، وفي هذا رد قوله تعالى . ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) كما أن فيه تكديماً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم- : «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»؟ فإن من يبتدع يعترف أن لا سند لبدعته من كتاب ولا سنة، ولكنه يدعي أنها عمل صالح. فما صلاح عمل لم يأمر به الله ولم يفعله رسوله الله؟! وما صلاح عمل يراد به إكمال ما أكمله الله على أتم وجه ورضيه؟! ولكنها وساوس الشيطان وهمزاته.

ثانياً : إن الابتداع يستلزم القدح في إبلاغ رسول الله رسالة ربه ، فلقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، وأمره بإبلاغ الرسالة ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)) فبلغها صلى الله عليه وسلم- أتم بلاغ. فإذا كان المبتدع يرى في بدعته الخير والعمل الصالح ، ويعترف

أن لا سند لبدعته من كتاب ولا سنة ولكنها حسنة في نفسها - حسب زعمه - فإن هذا يعني أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حاشاه وكلا - بين أمرين : إما أن يكون جاهلاً بما ينفع الأمة وأن هناك جملة من جوانب الخير لا يعلمها فجاء معاصرو القرون المتأخرة فأخرجوها للأمة وأضافوها إلى الدين ، أو أن يكون صلى الله عليه وسلم- يعلم حسن هذه الأعمال المبتدعة ، إلا أنه كتمها عن الأمة وهذا يعني تخونه والقدح في أدائه رسالة ربه ، وكلا الأمرين شر وقدح في شهادة أن محمداً رسوله ، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- مبرأ عنهما معاً.

ثالثاً : إن في الابتداع مخالفة صريحة لأوامر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ، فإنه صلى الله عليه وسلم- أكد ضرورة التمسك بسنته والابتعاد عن الابتداع والإحداث في الدين ، كما أكد أن الإحداث في الدين مردود ولا شك إن مخالفته - صلى الله عليه وسلم- مظنة الفتنة. قال تعالى : ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))

ولقد فهم أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وتابعوهم هذا الفهم ، ففي الجامع لأبي بكر الخلال أن رجلاً جاء إلى مالك بن أنس فقال : من أين أحرم؟ قال : من الميقات الذي وقت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأحرم منه. فقال الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه؟ فقال مالك : لا أرى ذلك. فقال الرجل : ما تكره من ذلك؟ قال : أكره عليك الفتنة. قال : وأي فتنة من ازدياد الخير؟ فقال مالك : فإن الله تعالى يقول : ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))؟ وأي فتنة أكبر من أنك خصصت بفضل لم يخص به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وفي رواية : وأي فتنة أعظم من أن ترى أن اختيارك لنفسك خير من اختيار الله واختيار رسوله؟!

لقد حرص أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على تبليغ الأمة سنة رسول الله من قول أو فعل أو تقرير ، وبالغوا في التحذير عما يخالفها من قول أو فعل مهما كان ذلك وعلى أي وجه يكون ، ولم يفرقوا في الإنكار بين ما ظاهره الحسن وما ظهر سوءه ، فلم يقولوا بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة ، بل اعتبروا البدعة أمراً منكراً وزوراً من القول والعمل ، وقولاً على الله بلا علم ، وتشريعاً من الدين بما لم يأذن به الله ، حجتهم في ذلك الإيمان بأن الله أكمل دينه وأن رسوله -صلى الله عليه وسلم- بلغ رسالة ربه وأدى أمانته وبين لعباد الله خصائص دينهم ومقتضيات أعمالهم وأن الأخذ بالبدعة يعني مناقضة ذلك الإيمان باعتبار أن البدعة في ظن مبتدعيها والآخذين بها إكمال نقص في الدين ، كما أن حجتهم كذلك الامتنال للانتهاء عن الابتداع مطلقاً مهما كان وعلى أي سبيل يقع ، يستوي في ذلك حسنة وسيئة للعموم في نفي البدع والابتداع ، فقد حذر صلى الله عليه وسلم- عن الابتداع بلفظ العموم فقال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»؟ ولفظ

الاختصاص والحصر فقال: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

ومن حججهم رحمهم الله في رد الابتداع إدراك أن الابتداع باب الشيطان إلى الغواية والإضلال والضلال ، فمنه دخل على الأمم السابقة يضلهم ويمنيهم ويغويهم ويزين لهم أبواب الابتداع حتى غيروا كتب الله وحرفوها. وبدلوها فأحلوا ما حرم الله وحرّموا ما أحل الله.

أدرك أصحاب رسول الله ذلك وكانوا حرباً على البدع والابتداع والإحداث والمحدثات، وفيما يلي مجموعة من الآثار الواردة عن أصحاب رسول الله في محاربة البدعة.

فقد روى محمد بن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها بإسناده فقال : بلغ ابن مسعود رضي الله عنه أن عمرو بن عتبة- في أصحاب له - بنوا مسجداً بظهر الكوفة ، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم ، ثم بلغه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسييحاً معلوماً ، ويهللون ويكبرون ، قال : فلبس برنساً ثم انطلق فجلس إليهم فلما عرف ما يفعلون رفع البرنس عن رأسه ثم قال : أنا أبو عبد الرحمن ، ثم قال : لقد فضلتم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علماً أو لقد جئتم ببدعة ظلماً ، قال: فقال عمرو بن عتبة : والله ما فضلنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علماً ولا جئنا ببدعة ظلماً، ولكننا قوم نذكر ربنا ، فقال : بلى والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخذتم آثار القوم لتسبقن سبقاً بعيداً ، ولئن حُرُثُم يميناً أو شمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً.

وذكر بإسناده عن بعض أصحاب عبد الله بن مسعود قال : مر عبد الله برجل يقص في المسجد على أصحابه وهو يقول : سبحوا عشراً ، وهللوا عشراً ، فقال عبد الله: إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أو أضل ، بل هذه ، بل هذه ، يعني : أضل.

وروى بإسناده عن أبان بن أبي عياش قال : لقيت طلق بن عبد الله بن كرز الخزاعي فقلت له : قوم من إخوانك من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد من المسلمين ، يجتمعون في بيت هذا يوماً وفي بيت هذا يوماً ، ويجتمعون يوم النيروز والمهرجان ويصومونهما ، فقال طلق : بدعة من أشد البدع والله لهم أشد تعظيماً للنيروز والمهرجان من غيرهما ثم استيقظ أنس بن مالك فوثبت إليه فسألته كما سألت طلقاً فرد عليّ كما رد علي طلق كأنما كانوا على ميعاد.

وروى بإسناده قال : ثوب المؤذن في المدينة في زمان مالك ، فأرسل إليه مالك فجاءه فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا. فقال له مالك. لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بهذا البلد عشر سنين ، وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا

هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه. فكف المؤذن عن ذلك، وأقام زماناً ثم إنه تتنح في المنارة عند طلوع الفجر فأرسل إليه مالك فقال: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر. فقال: ألم أنك لا تحدث عندنا ما لم يكن؟! فقال: إنما نهيتني عن التثويب، فقال له مالك: لا تفعل. فكف أيضاً زماناً، ثم جعل يضرب الأبواب، فأرسل مالك إليه فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك: لا تفعل، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه. وقد ذكر الشاطبي رحمه الله تفسير التثويب الذي نهى عنه مالك رحمه الله بأن المؤذن كان إذا أذن فأبطل الناس قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة حي على الفلاح. وذكر الشاطبي في كتابه الاعتصام قال: وقال ابن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه سمع مالكا يقول. من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم-خان الدين لأن الله تعالى يقول: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) وأختتم هذا البحث بما روى أبو داود والترمذي عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع فقلت: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة.» قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكلمة بها كلام قد يوم (*)

د. مصطفى السيد

الكلمة الطيبة ((كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)) وفي روضة النبوة وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم- عن الفأل فقال: "الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" البخاري ٨/٧ والكلمة في مرضاة الله كالكلم (الجرح) في سبيله، كلاهما طريق مهيع إلى الجنة. ولئن طوت المنون أولئك المتكلمين فلقد ظلت الأجيال المتعاقبة تبعث الحياة في الموروث من كلماتهم. وإذا كان شموخ الحضارة المادية المعاصرة قد قزم وحجم الآثار المادية للمدنيات الغابرة، فإن هذا الشموخ قد سجل تراجعاً ملحوظاً في مجال الكلمة، وظلت (روائع) الأقدمين في كل أمة قدوة المتأدبين وقبلة القائلين.

ولم تكن الكلمة لتدخل متحف البيان أو لتلج معرض الجمال وهي عطل من مؤهلات البقاء أو غفل من طاقة الإشعاع.
لم تكن كذلك في الماضي ، ولن تكون في الحاضر ، بل لقد كانت تأخذ من جهد قائلها كل مأخذ. روى العتبي (إخباري عباسي) قال: قيل لمعاوية: أسرع إليك الشيب.
قال: كيف لا؟ ولا أعدم رجلاً من العرب قائماً على رأسي يلحق لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت به البرد- (جمع بريد) ابن عساكر ٣٧٥/١٦.

وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني قال :كان الحسن في مجلس ، فقيل لأبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير تكلم ،فقال: "أو هناك أنا ؟ ثم ذكر الكلام ومؤنته" (الحلية ٢/٢١٣).

وإذا كان أبو العلاء يتحاشى الكلمة مخافة ألا يكون من أهلها فلا يجمل بأهلها أن يكتموها ، وأن يظنوا محرمين بالصوم عن الكلام ، متلبسين بشعيرة الصمت حتى ولو وجدوا متكلماً.

قال العلامة الشنقيطي في معرض تعليقه على قوله تعالى : ((إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)) " هذا النذر الذي نذرته ألا تكلم اليوم إنسياً كان جائزاً في شريعتهم ، أما في الشريعة التي جاءنا بها نبينا -صلى الله عليه وسلم- فلا يجوز ذلك النذر ولا يجب الوفاء به لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : بينا النبي يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» (أضواء البيان ٤ / ٢٦٧).

والكلام هو الأصل ، والصمت طارئ أو عارض فهو ميزة الإنسان (علمه البيان) وتركيز معناه وتكثيفه من فرائد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- «أعطيت جوامع الكلم» والعبارة في سياق التحدث عما خص به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

«وجعل الله منيحة داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب» (البيان والتبيين ٣١/٤) "وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المنة وظهور الحجة" البيان والتبيين ١٧٦/١ ويحمد الصمت إن جاء الكلام مبايناً للخير «فليقل خيراً أو ليصمت» أو إذا كان العبث محركه ، واللغو مادته ((وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)) ولقد قال عبد الملك بن مروان لمن أطال الكلام وقصر في الفائدة. يا هذا بكلامك مدح الصمت! واستأذن مثل هذا النموذج في السكوت بعد كلمة طويلة في غير ما طائل فقال عبد الملك له: وهل تكلمت حتى تصمت؟!.

ترى كم من كاتب ومتكلم قد ينفعه أن يتأمل ملياً كلام عبد الملك. واليوم كما أمس وكذا الغد ، ستظل الكلمة الحجر الأساسي في صرح الحضارة ، والمطلب الأول في بناء العقول التي إن غذيت بصائب الكلام أثمرت صالح العمل.

ولئن اغتصبت المناير ، وعلاها علوج الأسننة ، ومنافقو الروح ، وتمكنوا من السيطرة على أكثر المواقع في الساحة الفكرية دعماً للظلم أو ملئاً للفراغ بالفراغ ، فذلك وإن كان مدعاة للأسف ، فلن يقوى على البقاء ، بل ربما سقط قبل أن ينفق قائلوه.

لئن حصل ذلك كله -وهو حاصل - فإن مسؤولية أصحاب الأقلام الشريفة تتأكد وتزداد في الذب عن قيم الحق والعدل ورفع المعاناة بكل صورها عن كل مأزوم ومكروب.

لقد فرضت الآثار العظيمة نفسها على ذاكرة التاريخ وشقت طريقها إلى البقاء ، متحديّة كل طاقات الخصوم التي حاولت طمسها. ينطبق هذا على فرائد النصائح التي صيها علماء المسلمين في أذان الظالمين ، ومسامع الغافلين ، كما ينطبق على موسوعات العلم والمعرفة التي وصلت إلينا ، عابرة قرونًا متطاولة من فجر التاريخ حتى يوم الناس هذا. إنها الكلمة التي أعطاها صاحبها دمه وحياته ، فأعطته جواز البقاء ، لا يقهر الفناء إلا الكلمة والحجر والكلمة أطول عمراً من الحجر وأصلب على الزمن وأقدر على مغالبة الفناء.

وكم من كلمات خرجت من القلوب لتصبح منهج عمل ، ودستور حياة ، وتكون نقطة تحول في سلوك كثير من الشخصيات. وصدق الله القائل في فضل الكلمة الطيبة ((تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)). نسأل الله أن يلزمنا كلمة التقوى وأن يجعلنا من أهلها.

الهوامش :

(*) شطر بيت من ألفية ابن مالك ، ومعنى يؤم : أي يقصد. أي كما أن الكلمة تدل على واحد الكلام فكذلك تدل على مجموعة كلمات تشكل معنى.

ضوابط العمل الصالح

جمال أحمد بشير

في توجه العبد المؤمن إلى ربه ، وفي سيره وانقطاعه إليه يحتاج إلى ما يضبط سلوكه ويزن أفعاله حتى لا يحميد عن الطريق ولا يخطئ الجادة. لذلك ذكر سلفنا الصالح شروطاً وضوابط للعمل الصالح باستقراء نصوص الكتاب والسنة وبدون هذه الشروط والضوابط يكون العمل معرضاً للخلل والنقصان؛ بل والرد على صاحبه فلا يجني من عمله إلا التعب والمشقة.

ونذكر فيما يلي أهم هذه الشروط :

الأول : الإخلاص لله عز وجل.

الثاني : متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.-

فلا بد من إخلاص النية لله في أي عمل يعمله العبد. قال تعالى : ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) [البينة: ٥] ، وقال صلى الله عليه وسلم- : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» (١)؟ وقال صلى الله عليه وسلم- : «قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه ؛ وهو كله للذي أشرك» (٢).

ولا بد في إخلاص العمل من أن يكون هذا العمل مما شرعه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم- يقول تعالى : ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)) [آل عمران: ٣١] ويقول صلى الله عليه وسلم- : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (٣) وفي لفظ. «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» . وبهذين الشرطين يتحصن المسلم من ألد أعدائه ألا وهو الرياء والبدعة والشرك. يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : " فهما توحيدان ، لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم- " (٤). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان ، أحدهما : أن لا نعبد إلا الله. والثاني : أن لا نعبد إلا بما شرع. لا نعبد بعبادة مبتدعة. وهذان الأصلان هما تحقيق " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله " كما قال تعالى : ((لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)).

قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه. قالوا. يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة. وذلك تحقيق قوله تعالى : ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) (٥).

ويقول ابن القيم رحمه الله : " فلا يكون العبد متحققاً بـ ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ)) إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم- .
والثاني : الإخلاص للمعبود " (٦) .

والعمل - بالمشروع يحصن المؤمن من الوقوع في المبتدع من الأعمال ويغنيه عنه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكذلك العباد : إذا تعبدوا بما شرع من الأقوال والأعمال ظاهراً وباطناً ، وذاقوا طعم الكلم الطيب ، والعمل الصالح الذي بعث الله به رسوله ، وجدوا في ذلك من الأحوال الزكية ، والمقامات العلية ، والنتائج العظيمة، ما يغنيهم عما قد يحدث في نوعه ، كالتغبير ونحوه ، من السماعات المبتدعة ، الصارفة عن سماع القرآن ، وأنواع من الأذكار والأوراد ،

لفقهاء بعض الناس. أو في قدره ، كزيادة من التعبادات ، أحدثها من أحدثها لنقص تمسكه بالمشروع منها" (٧).

ومن الضوابط المهمة التي ذكرها أهل السنة في شأن الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله تعالى : القصد والمداومة.

قال تعالى : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) [البقرة: ١٨٥] ، وقال تعالى : ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) [الحج: ٧٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لن ينجي أحداً منكم عمله. قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته. سدوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا (٨).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «سدوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل» (٩).

وعنها رضي الله عنها قالت : سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : أدومها وإن قل. وقال. اكلفوا من الأعمال ما تطيقون (١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» (١١).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث الثاني : " ثم ختم ذلك بأن المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً أحب إلى الله من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيه مداومة" (١٢).

وقال ابن حجر في شرح " واكلفوا ، من الأعمال ما تطيقون " : " ما تطيقون " أي قدر طاقتكم ، والحاصل أنه أمر بالجد في العبادة والإبلاغ بها إلى حد النهاية لكن بقيد ما لا تقع معه المشقة المفضية إلى السامة والملال " (١٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- هو الاقتصاد في العبادة " (١٤) إلى أن قال : " فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنع عن فعل واجب أنفع له منها ، كانت محرمة ، مثل أن يصوم صوماً يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنع عن العمل أو الفهم الواجب ، أو يمنع عن الجهاد الواجب. وكذلك إذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها ، مثل أن يخرج ماله كله ، ثم يستشرف إلى أموال الناس ، ويسألهم. وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها ، وأوقعته في مكروهات ، فإنها مكروهة " (١٥).

وأورد قول ابن مسعود : " إني إذا صمت ضعفت عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إلي " (١٦). وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في معرض شرحه للأحاديث المذكورة السابقة أن فيها إشارة إلى أن أحب الأعمال إلى الله عز وجل شيئان :

أحدهما ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلاً ، وهكذا كان عمل النبي -صلى الله عليه وسلم- وعمل آله وأزواجه من بعده. وكان ينهى عن قطع العمل (١٧). والثاني : أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير (١٨).

وقال ابن رجب رحمه الله في تفسير " سدودا وقاربوا " : " المراد بالتسديد : العمل بالسداد ، وهو القصد ، والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه (١٩).

وحول معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- «وأبشروا» قال : " يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر ، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال. فإن طريق الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها ، فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في غيرها. " وخير الهدى هدى محمد -صلى الله عليه وسلم- " فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره. وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها. فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه ، وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن ليس كذلك وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح " (٢٠).

ومما يتعلق بهذا الباب ما ثبت في الصحيح من نصح النبي -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله ابن عمرو بن العاص بأن يقرأ القرآن في كل شهر مرة ، وبأن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام عندما رآه مقبلاً على الطاعة والعبادة وقال له : «إن لنفسك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، فانت كل ذي حق حقه». فينبغي مراعاة الواجبات والموازنة بينها وأن لا يجتهد المؤمن في جانب ويترك جوانب أخرى من الواجبات التي عليه. لذلك نرى ابن القيم قد قسم الناس في العبادة إلى أربعة أصناف ، ثم رجع الصنف الرابع الذين : " قالوا : إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته " (٢١). وليعلم المؤمن أن المشقة ليست مقصودة في التكليف كما قرره علماء الأصول من أهل السنة بل الأصل هو رفع الحرج والعنت عن الناس. فليس لأحد أن يقصد المشقة طالباً بذلك الأجر. قال الشاطبي رحمه الله " أصل آخر : وهو أن المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظراً إلى عظم أجرها ، وله أن يقصد العمل

الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل " (٢٢). ثم زاد الأمر توضيحاً فقال

"فإذا كان مقصد المكلف إيقاع المشقة فقد خالف قصد الشارع ، من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة ، وكل قصد يخالف قصد الشارع باطل " (٢٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. " ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق ، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة ، في كل شيء ، لا! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ، ومصالحته ، وفائدته ، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأى العاملين كان أحسن ، وصاحبه أطوع ، وأتبع ، كان أفضل. فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل " (٢٤) ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه الأمور وأمثالها لا تدرك إلا بالعلم وطلبه ولذلك ورد في حديث عائشة السابق " واعلموا " وهو إشارة إلى أهمية العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح المقبول.

الهوامش :

- ١- متفق عليه.
- ٢ - رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، وابن ماجه في الزهد، ومسند أحمد ٢ / ٣٠١ ، ٤٣٥ ..
- ٣-متفق عليه.
- ٤- شرح العقيدة الطحاوية / ٢٠٠ ،
- ٥ - مجموع الفتاوى ١ / ٣٣٣-٣٣٤
- ٦ - مدارج السالكين ١ / ٨٣ ،
- ٧ - اقتضاء الصراط المستقيم ٢ / ٩٩ ،
- ٨ - رواه البخارى ح ، ٦٤٦٣ ،
- ٩- المصدر السابق ح ، ٦٤٦٤ ،
- ١٠- المصدر السابق ح ، ٦٤٦٥ ،
- ١١- صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ،
- ١٢ - فتح الباري ١١ / ٢٩٨ ،
- ١٣- فتح الباري ١١ / ٢٩٩ ،
- ١٤ - الفتاوى ٥ / ٢٧٢ ،
- ١٥ - الفتاوى ٥ / ٢٧٢ ، - ٢٧٣ ،
- ١٦ - المصدر السابق ٥ / ٢٧٦ ،
- ١٧ - المحجة في سير الدلجة / ٤٥ ،
- ١٨ - المصدر السابق / ٤٦ ،

- ١٩ - المصدر السابق / ٥١ ،
 ٢٠ - المصدر السابق / ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٢١ - مدارج السالكين / ١ ، ٨٨ ،
 ٢٢ - الموافقات للشاطبي / ٢ ، ١٢٨ ،
 ٢٣ - المصدر السابق / ١٢٩ ،
 ٢٤ - الفتاوى / ٢٥ ، ٢٨١ - ٢٨٢ .

رسالة إلى أخي المسلم

بقلم : محمد محمد بدري

أخي العزيز ، أيها المسلم من أجل الإسلام في كل مكان ، يا من يقلب وجهه في السماء ويعمل فكره في الكون باحثاً عن الطريق الصحيح لعودة أمة الإسلام.. إنني أشاركك حيرتك وهمومك وتطلعاتك.. لقد عانيت ما تعاني ، فتعال نبحت معاً في هدوء دون أن أضيق بك أو تضيق بي.. نعم لن أضيق بك يا أخي العزيز فإنني أستبشر خيراً باهتمامك وتطلعك وتفكيرك من أجل عودة أمة الإسلام ، وإنني أرى نفسي فيك ، فقد مشيت معك هذا الدرب ومررت على ثغراته ومنَّ الله علي بمعرفة كثير من مسالكه ومنعطفاته ، لن أطلب منك أن تكون أسير فهمي أو فهم غيري ، لن أزعم لك أنني أحتكر الفهم الصحيح وحدي.. لكنني أدعوك دعوة هادئة إلى كتاب الله عز وجل الذي أنزل ليمنحنا الحياة ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) - إنك - يا أخي العزيز - تتفق معي أن هدفنا في الحياة قد حدده الله عز وجل بقوله : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) عبادة الله وحده لا شريك له.. وأن الناس إذا انحرفوا عن هذا الهدف كان على المسلمين أن يعيدوهم إلى دائرة الالتزام به.. وعليه فمهمتنا هي تحقيق عبودية الإنسان كل الإنسان في الأرض كل الأرض لله رب العالمين..

واعلم -يا أخي العزيز- أنك تحزن وأنا أحزن معك من هذه الغربة الثانية للإسلام «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء».. (يصلحون ما أفسد الناس) وتسعى وأسعى معك من أجل أن نصلح ما أفسد الناس ونغير هذا الواقع ونعيد أمة الإسلام إلى الخيرية التي أرسلت من أجلها ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) وهكذا يا أخي تجمعني معك أخوة الإسلام والرغبة في عودة أمة الإسلام إلى المقدمة في قيادة الأمم.. ويجمعني معك شعور كلانا بالغربة ، غربة الإسلام بين أهله..

واتفاقك واجتماعك معي في هذه المقدمات هو ما دعاني اليوم أن أحدثك بكل بساطة وكما يتحدث الأخ إلى أخيه في موضوع تدفعنا إليه تلك الصحوة الإسلامية المباركة التي تسير في طريق عودة الأمة إلى الله لكي تصبح أمة مسلمة تستحق نصر الله ورضوانه.

أخي العزيز.. تتفق معي أن نزول هذه الأمة من عليائها كان وفق سنن ربانية مفادها أن الله عز وجل لا يمكن للناس حتى يستقيموا على عهده ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)) تتفق معي في ذلك؟! فهل تؤمن معي أن عودة هذه الأمة تخضع لسنن معينة أيضاً؟! إذا كنت تؤمن بذلك ، فأنت رجل يؤمن بإمكانية التغيير.. وهذا يدعوني إلى أن أقرر أمراً هنا أراك لا تخالفني فيه وهو أن التغيير يخضع لعلاقة بين الهدف والوسيلة.. فإذا كنا نريد عودة الأمة المسلمة فهذا هدف له وسائل توصل إليه.. وإنه من الخطأ كل الخطأ أن نتصور أن نجاحنا في تحقيق هدفنا يمكن أن يحدث بطريقة سحرية غامضة الأسباب؟! قد تقول يا أخي العزيز - إن ما نملكه من وسائل لا يكفي لنصل إلى هدفنا ، وإنما في حاجة إلى إمكانيات أكبر ، وهذه الإمكانيات غير متوفرة لدينا الآن؟! وأنا أوافقك على ذلك،.. ولكن إذا كنا لا نملك الآن ما يمكننا من الوصول إلى هدفنا هل نتوقف عن العمل حتى تتدخل القوة الخارقة الغامضة الأسباب لتوصلنا إلى هدفنا؟!.. أم أن المطلوب منا هو العمل قدر الوسع والطاقة واستخدام الوسائل التي نملكها .. وما وراء ذلك من أمور أرادها الله بمشيئته المطلقة وحكمته البالغة فالله أعلم متى يهب النصر ويمكّن لمن يستحق من عباده.

أخي العزيز : إن علينا أن نعلم أن الحركة الإسلامية تخضع لسنن الله العامة التي تشمل البشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، والإيمان والالتزام بعقائد أهل السنة والجماعة دون الأخذ بالأسباب المادية للنصر لا يضمن النصر والظهور والتمكين في الأرض.. والآن - أخي العزيز - هل اتضح عندك ما أردت الوصول إليه.. إنه بكل بساطة ووضوح وتحديد إقرار لفكرة " المنهجية في العمل الإسلامي " فبين الحركة وبين هدفها منهاج عمل يلعب دوراً كبيراً في تحقيق ذلك الهدف ، والمنتصر في أمور الدنيا هو من يملك في تحركه منهاجاً واضحاً سواء كانت أهدافه سليمة أم لا.. فالدنيا ليست للمؤمنين فقط ((كُلًّا نُمِدُّ هُوَ لَاءٍ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)) وللدنيا قوانينها وأسبابها ، ومن قوانين الدنيا أن الذي يمتلك منهاجاً واضحاً في العمل هو الذي ينجح في الوصول إلى الهدف ،.. والمنهاج الذي نريده لحركتنا منهاج يأخذ بالإمكانات المتوفرة حالياً للحركة ليصل إلى أهداف معينة ، بينما هو يسعى للحصول على إمكانيات أخرى توصل إلى الهدف الأكبر. أو بعبارة محددة وبسيطة

منهاج قوامه " الاستفادة من الإمكانيات حسب الظروف للوصول إلى الأهداف مع حساب الاحتمالات ومحاولة إيجاد الحل لكل احتمال " .. (وتفصيل ذلك له مقام آخر). ولكني أريد أن أقول لك - يا أخي العزيز - إن الله تعالى قال : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)) فالتحرك الإسلامي يجب أن يكون واعياً صادراً عن خطط مدروسة ، وإعداد محكم ، واستراتيجية كاملة واضحة تغطي كافة مراحل التحرك وتدرس الواقع من جميع جوانبه.. فإذا كانت كذلك فإن التحرك يكون صحيحاً.. ويكون مؤثراً .. ويكون مُبلِغاً الهدف بإذن الله.. ويكون لحركتنا شرف أذان الفجر في ليل الشتاء الطويل الذي نعيشه وتعيشه أمتنا.. وسيجيء هناك الحق ويزهق.

القنبلة البشرية المؤقتة في حوض البحر الأبيض المتوسط

إعداد وتعليق : قسم الترجمة بالمجلة

نشرت صحيفة "الديلي تلغراف" مقالاً بعنوان (القنبلة السكانية المؤقتة في حوض المتوسط) تناول فيه كاتبه هذه القضية التي تقض مضاجع الغرب وهي الزيادة السكانية الكبيرة بالنسبة للدول التي تقع شرق وجنوب المتوسط ، وتراجعها في الدول التي تقع شماله.

تكشف الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة عن أعراض أزمة في طور التكوين تتعدى حدود الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل بكثير ، وتمس الأزمة كل قطر من أقطار المتوسط غير الأوروبية من المغرب إلى اليوسفور متزايدة في تأمين متطلبات أجيالها الناشئة.

لا شك أن زيادة عمق الهوة بين الدول الغنية في الشمال ، والدول النامية والفقيرة في جنوب المتوسط سوف تؤثر على توازن دول حلف الأطلسي والمجموعة الأوروبية التي تملك كلها مصالح مباشرة في المنطقة.

أما بالنسبة للفلسطينيين فالأرقام مذهلة حقاً، فالشريط الساحلي المتداعي الواقع في واجهة البحر المتوسط المعروف بقطاع غزة كان ولا يزال مرشحاً لمدة طويلة ليكون إحدى الشرائح الأرضية المنسية الأكثر كثافة سكانية على وجه المعمورة ، فقد تضاعف عدد السكان فيه منذ ١٩٤٨ ثلاث مرات من (٢٠٠) ألف إلى (٦٠٠) ألف تقل أعمار نصفهم عن الرابعة عشرة ، وبعد أن تقلصت محاصيل الفاكهة على الصعيد المحلي لم يبق من موارد الدخل إلا ما يجلبه ما يقرب من (٤٠) ألف عامل

يضطرون كل يوم للانتقال إلى إسرائيل - ومعظمهم بطرق غير قانونية ، وكذلك من التبرعات التي تهبهم إياها وكالة غوث اللاجئين الأونروا .
هذا ويتفق الخبراء العرب والإسرائيليون على أن الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي سيتساوى عددهم مع الإسرائيليين في غضون ٢٠ - ٢٥ سنة قادمة.

ويزيد هذا التنبؤ في تعقيد ما يسميه "ميرون بن فينيستي" المساعد السابق لرئيس بلدية القدس والرئيس الحالي لمشروع تجميم المعطيات عن الضفة الغربية: "الأزمة والحيرة القاسية" لدى إسرائيل. فهو يرى أن إسرائيل لم تكسب حدوداً استراتيجية مناسبة لأول مرة في حرب الأيام الستة إلا لتجد نفسها أمام مشكلة السكان العرب في الأراضي التي أخضعت لها والذين يتزايد تهديدهم لفكرة "إسرائيل" ذاتها كدولة يهودية.

لا يمكن فصل اقتصاد الأراضي المحتلة عن اقتصاد إسرائيل أبداً ، إذ إنهما متشابكان إلى أبعد الحدود. فإسرائيل في حاجة إلى اليد العاملة العربية التي يفوق عددها (١٠٠) ألف عامل يشتغل الكثير منهم "في مهن حقيرة" يترفع عنها الإسرائيليون عادة ، وتحتاج الصناعة الإسرائيلية سوقاً فلسطينية لاستهلاك بضائعها المتنوعة ابتداء من الأغذية المعلبة إلى معجون الأسنان.

ويتمثل هذا التزايد السكاني في فلسطين مع الحال في كل من بلاد الشام وشمال أفريقيا ، وقد أوضحت ذلك بشكل جلي الدراسة التي قام بها برنامج الأمم المتحدة للبيئة حول ما يتوقع بالنسبة للخمسين سنة المقبلة عندما نشر "خطته الزرقاء" في أثينا في الخريف السابق ، حيث برهن التقرير على أن ثلثي سكان البحر الأبيض المتوسط في الخمسينات كانوا أوروبيين منتشرين في الدول الممتدة من مضيق جبل طارق إلى مضيق البوسفور ، غير أن هذه الصورة ستتعاكس بحلول (٢٠٢٥) وسيصبح البحر المتوسط في غضون عشر سنوات من الآن بحراً إسلامياً ، إن لم يكن عربياً ، السيناريو الذي طالما توجس منه مستشارو شارلمان خيفة.

وقد أدى هذا التنبؤ بأعضاء بارزين من دول المجموعة الأوروبية التي تطل على البحر الأبيض المتوسط إلى المناداة لاتخاذ تدابير فورية ، فالإيطاليون في حالة هلع من إمكانية تدهور اقتصاد بلدان البحر الأبيض المتوسط الجديدة المرتبطة بازدياد عدد سكانها ، حيث إن هذا يعني تقلصاً لأسواق دول الشمال الكائنة بجوار جيران تعم بينهم البلبلة ، وقد اقترح "فرانكو رافيليو" رئيس إدارة الطاقة في إيطاليا أن تستثمر الدول الشمالية (٣٠) مليار دولار من رصيد الأرباح الناجمة عن انخفاض أسعار النفط في إطار مشروع شبيه بمشروع مارشال لتدعيم الأنظمة الاقتصادية في دول البحر الأبيض المتوسط. وقد صرح "بييرو باسيتي" -وهو وزير سابق

للصناعة - قائلاً: "إن ما نشاهده حالياً في البحر المتوسط قد يجعل المباحثات بين الشرق والغرب تبدو كأنها صفحة مطوية من فصول التاريخ".
وتواجه اليونان حالياً مسألة تجمد عدد سكانها - إن لم نقل : ظهور علامات تقلصهم - في حين يزداد عدد سكان خصمها اللدود - تركيا - بشكل مطرد. وسوف تصبح كل من تركيا ومصر في غضون (٢٥) عاماً قوتين عظيمتين في المنطقة من الناحية البشرية ، حيث سيزداد عدد سكان كل منهما آنذاك على (١٠٠) مليون نسمة.
إن التركيبة السياسية المعقدة القابلة للانفجار والناجمة عن فقدان التوازن في الأرقام تتجسد بخطوة مكشوفة في لبنان، فعلى مدى (٤٥) سنة منذ أن وزعت السلطة والمناصب على الأقليات حسب الحجم تحت بنود الميثاق الوطني المبرم في ١٩٤٣ تمكن الشيعة من الانتقال من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولى ليصبحوا أكبر طائفة دينية في البلد.

تترعرع في بيروت في الوقت الحاضر نزعة دينية متطرفة من جراء الفقر والفضى للذين يشكلان البيئة المثالية لتفشي التعصب الديني والعقائدي على حساب العقل والتسامح!! فمثل هذه التطورات ليست بالضرورة من صنع التدخل الخارجي البعيد العهد في شؤون البلاد من طرف " الملالي " في طهران وقم. إذ يشير ظهور الحجاب والشادور واليشمك على رعوس الشابات في إسطنبول والقاهرة وتونس إلى أن الطريق نحو التعصب الديني نابع من أماكن شتى.
من بين جوانب الاضطرابات الأخيرة التي قام بها الفلسطينيون في الأراضي المحتلة القوة المتزايدة للمتعصبين الإسلاميين!! مما يبعث على الأسف في صفوف أنصار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. إن مكونات النعمة على بواعثها لا تخفى على من له نظرة أقل تبصراً من نظرة السيد " ديفيد ميلر ". ويبعث منظر عمارات غزة الممتدة بغير اتساق ولا انتظام في الذهن صورة يمكن تعميمها على بقية البلدان الجديدة في البحر الأبيض المتوسط.

في العشرين سنة القادمة "ستغطي أكثر من أربعة أخماس السواحل بمساكن لإسكان (٢٠٠) مليون مقيم ، ومنتجعات سياحية من أجل الغزوات السنوية لأكثر من (٥٠٠) مليون سائح ، وسيغلب على الشكل الجديد لسواحل البحر المتوسط طابع المدن المكتظة بالسكان وهو أمر بعيد كل البعد عن التصور الأسطوري لبلاد الرعاة وصيادي السمك في أركاديا arcady.

إن تحديث الزراعة وإدخال التقنية عليها سيجعل مدن حوض المتوسط تنتفخ بالسكان الوافدين بالإضافة إلى تزايد سكانها الأصليين ، فمثلاً تستوعب إسطنبول سنوياً - رغم أنها - ثلث مليون من المهاجرين المتقارنين عليها من القرى ، وبما أن فرص العمل تنقل كل يوم فإن الكثير يكسبون لقمة عيش لا تكاد تسد الرمق بعد جهد

وعناء في ممارسة " الأعمال الهامشية " مثل تلميع الأحذية ، وكنس الطرقات ، وغسل السيارات ، وحمل الأمتعة.

إن أحوالاً كهذه من شأنها أن ترسخ المخاوف حول مدى قدرة بلدان البحر المتوسط غير الأوروبية على تطوير وتوسيع أسواقها.

وقد كاشفني " عز الدين جسوس " - الوزير المغربي المكلف بالعلاقات المغربية بالسوق الأوروبية المشتركة - بهذا الواقع المر دون لف أو دوران ، فقد صرح بأن بلده يهدف إلى تحسين علاقاته مع بلدان السوق الأوروبية المشتركة ويحلم في أحسن الحالات بالانضمام التام إليها إذ إن دخول إسبانيا والبرتغال السوق الأوروبية قد وضع المغرب أمام خطر فقدان سوق لترويج ما يعادل مليون طن من المنتجات الزراعية والحمضيات.

وقد اختتم كلامه قائلاً: " لا يمكن أن يتحول البحر الأبيض المتوسط - وهو أكبر الممرات التجارية في التاريخ - إلى طريق مسدود ، فقد سبق أن أدت محاولة ذلك في الماضي إلى الحرب " .

وإذا تركنا جانباً إسهاب " الخطة الزرقاء " في الجانب الاجتماعي فإن توقعاتها لمصير البحر الأبيض المتوسط تذكر المرء بشكل عجيب بالسيناريو الذي رسم خطوطه بوليبيوس ، الذي سبق ليفي حول الاصطدام بين القوتين العظميين شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط روما وقرطاج : الحرب البونية الأولى First punic war

الديلي تلغراف ١٩ / ١ / ١٩٨٨

تعليق على المقال

هذا المقال يعطي صورة واضحة لا غموض فيها عن نظرة أعداء الإسلام بشكل عام ، والغربيين بشكل خاص ؛ إلى التكاثر السكاني عند المسلمين ، ويعكس النظرة الضيقة المتعصبة المخالفة لكل ادعاءات التحضر والحياد العلمي الذي يزعمه من يتناولون القضايا الإسلامية بالبحث والتعليق.

ويأتي هذا المقال في وقت تصدر فيه دراسات كثيرة كلها تدق نواقيس الخطر في الغرب للبحث عن حل لمشكلة زيادة السكان في البلاد الإسلامية ، وخصوصاً القريب منها من أوربا ، ويرد موازياً للدراسات والتقارير الصادرة من اليهود سواء داخل إسرائيل أو خارجها ، ويجد له مناسبة في الأجواء السائدة الآن في فلسطين المحتلة والتي وجد العدو فيها نفسه في مأزق حقيقي أبرز مظاهره الزيادة السكانية المتصاعدة والمتسارعة في صفوف الفلسطينيين ، يقابلها تراجع في نسبة الزيادة عند المغتصبين اليهود.

وإذا كانت أغلب الدراسات في هذا الموضوع تؤكد على المقارنة بين العرب واليهود للبحث عن حل إقليمي على مستوى فلسطين ومآحولها فقط ؛ فإن هذا المقال يضع المقارنة بين العرب واليهود في إطار القضية الأوسع والأعمق ، ويعتبرها جزءاً من مشكلة ذات أبعاد تتعلق بالصراع الدائم بين الإسلام والصليبية الأوروبية الوثنية تحديداً..

ونتيجة لهذه النظرة فإن الغربيين يربعونهم أن يعود البحر المتوسط بحراً إسلامياً ، ويؤلمهم أن يختل التوازن الذي أرادوه لهذه المنطقة التي جعلوها مجالاً للتنافس فيما بينهم ، ومضماراً لجشعهم وشرهم.

إن بواعث التعصب والعنصرية وحب السيطرة والتعالي التي تحكم آراء الغربيين تجاه المسلمين واضحة من خلال كلمات هذا المقال ، فبينما نراه يتحسر على الوضع الذي أراده الغرب للبنان ؛ نجده يأسى بمرارة لمشاهد لابسات الحجاب والشادر واليشمك (البرقع) في العواصم الإسلامية ، وكذلك إن جهاد أهل فلسطين وهم في غالبيتهم مسلمون على مدى ثلاثة أرباع القرن ضد الاستعمار البريطاني وضد الاستيطان اليهودي لم يعره كاتب المقال بالاً ، حتى آلمته وأوجعته الأخبار الجديدة التي نقلت إليه وإلى غيره "القوة المتزايدة للمتعصبين المسلمين!!".

واختصاراً فإن مما تجدر ملاحظته في هذا المقال أنه :

١ - خطاب موجه بالدرجة الأولى إلى الدول التي يهملها أن يبقى المسلمون ضعفاء على كل المستويات ، ونذير خطر لها كي تبذل ما في وسعها لعلاج هذا الأمر الخطير.

٢ - وأنه يشير بطريق غير مباشر ، وبما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أن الذي يشجع قضايا تحديد النسل والحد من الزيادة السكانية بين المسلمين ، وتشجيع الدعوات العاملة على ذلك تحت شعارات كثيرة مثل : "تنظيم الأسرة" ، "تنظيم المجتمع"؟ "تخطيط الأسرة" إلى غير ذلك من الشعارات الكثيرة.. نقول : إن الذي يشجع على ذلك هم أعداء للإسلام والمسلمين ويخدمون أفكار مصاصي دماء الشعوب من المتعصبين الأوروبيين ، علموا بذلك أو جهلوه.

٣ - إن هذا المقال مثال على قصر نظر السياسات الاستعمارية المادية التي تقيس كل شيء قياساً مادياً رقمياً ، وتبني توقعاتها على ما يقدمه إليها "العلم الجامد" الذي اتخذوه إلهاً يعبد من دون الله ، غافلين عن أن قوانين الحياة ليست بهذا الجمود ، وأن الصراع لا يحسم لمصلحة من يملك المال والسلاح فقط في مواجهة من لا يملكها ؛ بل إن فضل الله وعونه يشتمل على أمور كثيرة بالإضافة إلى المال والسلاح اللذين - إذا لم يضاف إليهما التواضع والرحمة والشكر - يتحولان إلى أداة تقتل صاحبها.. إن الغربيين - مع اعترافنا لهم بأنهم كشفوا كثيراً من الأمور التي كانت مجهولة ، وسخروا المادة في خدمة الإنسان ، وتفوقوا على غيرهم في دراسة الظواهر الكونية

والطبيعية - لهم منطقهم الخاص القاصر في فهم التاريخ وفي فهم حقائق الصراع البشري، وهم والمسلمون على طرفي نقيض ، فالمسلمون لهم منطقهم الذي تعلموه من كتاب ربهم الذي يقول : ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)) [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

أدب وتاريخ ولات حين مندم

عدنان بن سالم الفهد

.. قال الفتى الشامي : وقفت متقطع الفؤاد.. مقروح الكبد.. من هول الفاجعة!! بالأمس كانت أمي.. واليوم أبي.. رحمة بي يا أرحم الراحمين.. إني لأذكر ذلك الأمس حينما قفل في وجهي باب من أبواب الجنة بموت أمي.. وبكيت ذلك اليوم وبكى كل نبض في قلبي حتى تقطعت أطنابه حرقه ومرارة.. وكلما تذكرت قصة إياس القاضي - عندما ماتت أمه فبكى وأجاب عندما سأله السائل ما أبكاك؟! قال : " كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما " فتزداد حرقتي ويزداد نحبي.. وها هو الباب الثاني قد أقفل اليوم.. من يواسيني؟؟.. ومن يدعو لي بالرضا؟؟.. رحمة الله عليك يا أمي.. كم قد تحملت من عذاب وألم ، وكم كنت لا أعرف لك فضلاً!!.. رحمة الله عليك يا أبي.. وحمداً لك يا رب أن لم تجعل أبواب رحمتك تقفل في وجهي ، أما قال رسولك في صلة الوالدين بعد موتهما... وإكرام صديقيهما ، ومنه ما ورد عن ابن عمر: " إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه " ..

أعاهدك يا رب أن أصل صديقيهما ، وأبرهما بأهل ودهما بعد موتهما.. وإني أتوب إليك توبة نصوحاً عن ما مضى من عصياني وعفوقي.. ولكن.. للتوبة شرط إرجاع الحق.. !! أبي.. أمي.. ولكن يا رب.. يا للهول!!.. يا للفجعة!!.. أحقاً أني في حقيقة؟؟ كيف أعتذر؟؟.. كيف أرجع الحق وصاحب الحق قد مضيا!! كيف أقابلهما؟؟.. كيف أرجع الحق؟؟.. كيف يقبل قولي؟؟.. ولات حين مندم!!.. أبي.. أمي.. قال الفتى الشامي : فتخيلت لفرط حزني أن أبي قد تبسم وهو يقول لي : يا أسعد : إني أعلمك كلمات في المروءة.. قلت : نعم يا أبي ، كأنك تسمعني وأنت في عالمك الآخر.. قال : لا يا بني.. بل أعيد عليك كلمات تعرفها قد علمتك إياها في صغرك.. أو أحسبك قرأتها في تلك الأكداس من الكتب التي كنت تقرأ لي منها بعد أن هداك الله والتزمت بالإسلام - أو كما زعمت لي -.. يا بني.. " إن للسان مروءة فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر.. وللخلق

مروءته، فمروءته سعته وبسطه للحبيب والبغيب " .. بني " أما مروءة النفس هي حملها قسراً وقهراً على ما يجمل ويزين ، وترك ما يندس ويشين ليصير لها ملكة في جهره وعلانيته".

- قال الفتى الشامي. نعم يا أبي. نعم ، ولكن ثق أني على عهدك وسأحمل نفسي على المروءة الحققة في لساني وجناني..

- قال الفتى : قالت أُمي مقاطعة. دعك من هذا يا أبا أسعد فوالله ما رأيت منه تلك المروءة التي تحدثه عنها ، فما كان للسانه حلاوة ولا لين ، وما كان في خلقه سعة ولا بسطة ، وما حمل نفسه قسراً وما أجبرها قهراً. قال الفتى : حسبك يا أماه.. حسبك.

- قال الفتى. فصرخت صرخة قطعت كبدي ومزقت أضلعي.. ونحبت وبكيت.. وأمي تكمل : مروءتك يا بني أين كانت عندما كنا في الحياة الدنيا؟؟

- قال الفتى : وأين أنت يا أماه الآن؟؟ أُلست معي.. إني أعتذر إليك مما بدر مني. - قالت : دعك من هذا يا بني كفاك يا أسعد ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))

- قال الفتى : فشهقت.. فوقعت ولكن تمالكت نفسي ونهضت قائماً.. رحماك ربي.. أرجوك يا أمي لا تكلمي.. إني قد تبت الآن.. و.. سوف تصفحين عني.. لا لن أعود لمثل ذلك.

- قال أبي : وما ذلك يا أم أسعد!؟

- قالت أُمي : أما تذكر يا أبا أسعد كم رفع في وجهي صوتاً منتصراً لزوجته أو محتجاً على تدليلي لابنته.. أما سمع وهو الملتزم بالإسلام ذلك الحديث عن أبي الدرداء ، أن رجلاً أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أُمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول. «الوالد أوسط أبواب الجنة».. فإن شئت فضيع هذا الباب أو احفظه.. والله يا أبا أسعد ما أمرته بطلاق وإنما كانت بعض الأمور المنزلية البسيطة.. ووالله لو أرجعت إلى الدنيا لسامحته.. ولكن قد مضى قول ربي أن لا أعود..

- قال الفتى : نعم يا أمي إني أعلم ذلك.. ولكن لِمَ لَمْ تغفري لي وأنا في الدنيا؟؟.. قال الفتى : إني أعلم لم ذلك!!.. لأنني ما اعتذرت ليغفر لي أو أسامح ولكني أخذت زوجتي إلى غرفة أخرى متسليةً بها.

- قد أضعبت الباب " باب الجنة " يا أسعد..

- لا. لا يا أبي ما أضعته..

- قال الفتى. قال أبي : أضعته يا أسعد.. أما أغضبتك في ذلك اليوم.. فنظرت إلي شزرأ ، وأنت تعلم في ذلك اليوم أن ابن أبي حاتم قد نقل عن عروة في قوله تعالى:

((وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) ، قال عروة : إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً..

وجهي ، أما قال رسولك في صلة الوالدين بعد موتهما... وإكرام صديقيهما ، ومنه ما ورد عن ابن عمر : " إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه " ..

أعاهدك يا رب أن أصل صديقيهما ، وأبرهما بأهل ودهما بعد موتهما.

وإني أتوب إليك توبة نصوحاً عن ما مضى من عصياني وعقوقي.. ولكن.. للتوبة شرط إرجاع الحق...!! أبي.. أمي.. ولكن يا رب.. يا للهول!!.. يا للفجيرة!!.. أحقاً؟ني في حقيقة؟؟ كيف أعتذر؟؟.. كيف أرجع الحق وصاحب الحق قد مضيا!! كيف أقابلهما؟؟.. كيف أرجع الحق.. كيف يقبل قولي.. ولات حين مندم!!.. أبي.. أمي..

قال الفتى الشامي : فتخيلت لفرط حزني أن أبي قد تبسم وهو يقول لي: يا أسعد : إني أعلمك كلمات في المروءة.. قلت : نعم يا أبي ، كأنك تسمعني وأنت في عالمك الآخر.. قال : لا يا بني.. بل أعيد عليك كلمات تعرفها قد علمتك إياها في صغرك.. أو أحسبك قرأتها في تلك الأكداس من الكتب التي كنت تقرأ؟ي منها بعد أن هداك الله والتزمت بالإسلام - أو كما زعمت لي -.. يا بني.. "

إن للسان مروءة فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر.. وللخلق مروءته ، فمروءته سعته وبسطه للحبيب والبغض .."

بني " أما مروءة النفس هي حملها قسراً وقهراً على ما يجمل ويزين ، وترك ما يدنس ويشين ليصير لها ملكة في جهره وعلايته "

- قال الفتى الشامي. نعم يا أبي. نعم ، ولكن ثق أني على عهدك وسأحمل نفسي على المروءة الحققة في لساني وجناني..

- قال الفتى : قالت أمي مقاطعة. دعك من هذا يا أبا أسعد فوالله ما رأيت منه تلك المروءة التي تحدثه عنها ، فما كان للسانه حلاوة ولا لين ، وما كان في خلقه سعة ولا بسطة ، وما حمل نفسه قسراً وما أجبرها قهراً.. (قال الفتى : حسبك يا أمه.. حسبك..).

- قال الفتى : فصرخت صرخة قطعت كبدي ومزقت أضلعي.. ونحبت وبكيت.. وأمي تكمل : مروءتك يا بني أين كانت عندما كنا في الحياة الدنيا؟؟.

- قال الفتى : وأين أنت يا أمه الآن؟؟ أأست معي.. إني أعتذر إليك مما بدر مني.

- قالت : دعك من هذا يا بني كفاك يا أسعد : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))..

- قال الفتى : فشهقت.. فوقعت ولكن تماكنت نفسي ونهضت قائماً..؟ حماك ربي.. أرجوك يا أمي لا تكلمي.. إني قد تبت الآن.. و.. سوف تصفحين عني.. لا لن أعود لمثل ذلك.

- قال أبي : وما ذلك يا أم أسعد؟!!

- قالت أمي : أما تذكر يا أبا أسعد كم رفع في وجهي صوتاً منتصراً لزوجته أو محتجاً على تدليلي لابنته.. أما سمع وهو الملتزم بالإسلام ذلك الحديث عن أبي الدرداء ، أن رجلاً أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول. " الوالد أوسط أبواب الجنة " .. فإن شئت فضيع هذا الباب أو احفظه.. والله يا أبا أسعد ما أمرته بطلاق وإنما كانت بعض الأمور المنزلية البسيطة.. والله لو أرجعت إلى الدنيا لسامحته.. ولكن قد مضى قول ربي أن لا أعود..

- قال الفتى : نعم يا أمي إني أعلم ذلك.. ولكن لم تغفري لي وأنا في الدنيا.. قال الفتى : إني أعلم لم ذلك!!.. لأنني ما اعتذرت ليغفر لي أو أسامح ولكني أخذت زوجتي إلى غرفة أخرى متسلياً بها.

- قد أضعت الباب " باب الجنة " يا أسعد..

- لا. لا يا أبي ما أضعته.. قال الفتى. قال أبي : أضعته يا أسعد.. أما أغضبتك في ذلك اليوم.. فنظرت إلى شزرأ ، وأنت تعلم في ذلك اليوم أن ابن أبي حاتم قد نقل عن عروة في قوله تعالى ((وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) قال عروة : إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرأ..

- قال الفتى : قلت : يا أبي.. ولكنك ظلمتني.. فقال لي أبي : وإن.. وإن يا أسعد.. أما نقل لك البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس أنه قال : «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحد فواحد ، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضي عنه ، قيل : وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه. وربك يقول ((وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)) ثم.. أي ظلم هذا؟!.. هل أمرتك بشر؟ لا والله.. إن هي إلا أمور دنيا.. ولتكن أموراً كنت تتعبد الله فيها.. ثق تماماً.. أنك أضعت الباب يا أسعد..

- قال الفتى : فصرخت.. وما عساني أن أفعل وقد ماتا..؟! نعم.. لا عذر ولا قبول.. وربى بالمرصاد.. ويلي!!..

- قال الفتى : وسرت راجعاً بعد دفن أبي ومعني من الجموع الكثير.. وكنت والله مرعوباً متفتت الأحشاء كسيفاً مطرقاً.. ما زال في فكري ذلك اليوم.. وتلك الأيام التي كنت أرد على أمي أصواتاً أو أحتج على أبي مغاضباً وكإني سيد الدنيا.. وفي تلك الأيام التي ما أَرْضَى أن ترفع أمي طرفاً لزوجتي أو يحتج أبي على تصرف لي مهما كان صغيراً.. في تلك الأيام كنت أعلم قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)).. وما أعني لذلك إلا اليوم.. وكم أبكيته.. ولكني كنت أقرأ قول ابن عمر : بكاء الوالدين من العقوق والكبائر.. وأقرأ قوله -صلى الله عليه وسلم- : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً قالوا : بلى يا رسول الله

قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً : ألا وقول الزور ، وما زال يكررها حتى قلت ليته سكت" - قال الفتى : وكم أبكىتك يا أمي.. وكم.. ويا ليتني قد اعتذرت ، ما منعني إلا النسيان أو الغضب ، .. لست أدري.. ولكني سأستغفر ربي ما عشت وأتذكر الأثر دائماً: " لا تقطع من كان يصل أباك فيطفاً بذلك نورك " .. - قال الفتى : وخطرت لي أمي.. بني أسعد.. إذا ألمت بك مصيبة فكيف تفعل؟؟ - قلت : سأستغفر ربي.. قالت : أما لو كنت حية لهانت عليك. قال الفتى : قلت كيف ذاك يا أمه؟؟ قالت : روي عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال : إني خطبت امرأة فأبى أن تتكحني ، وخطبها غيري فأحببت أن تتكحه فغرت عليها ، فقتلتها ، فهل لي من توبة؟ قال له : (هل أمك حية؟) ، قال : لا ، قال : تب إلى الله عز وجل وتقرّب إليه ما استطعت ، فذهب.. يقول الراوي : فسألت ابن عباس : لم سألته عن حياة أمه؟ فقال : إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة.. - قال الفتى الشامي : قلت : يا أمه والله لست أدري هل أضعت الجنة حقاً أم ماذا..؟ ولكنني حسبي بإنّي قد بررت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..

- قال : قالت أمي : دونك وما رغبت فيه من زهد في الجنة ، وهل ظننت أن سلعة الله تكون حسب الهوى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول : «رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة» .. دعك من هذا ، أما أحرقت قلبي وأنا حية؟.. أما أبكىتك طاعة لشهواتك أو لنزعاتك أو لزوجتك أو لأمزجتك الخاصة في مواعيد إعداد الطعام أو استقبال ضيف.. بني.. اسمع بني وأخبر من وراءك من الناس.. قال الفتى : قلت هاتي يا أم. - قالت : بني إن الطاعة التي يريدها الله ليست الطاعة التي على هواك متى غضبت نفرت.. ومتى رضيت وأنست استرضيت.. فالأم لهجها الدائم) قد رضيت عليك يا بني . وما تظنها قائلة وقد فطر الله قلبها على حب الابن.. أما ترى كم من أصدقائك من هجر وفجر فإذا رجع إلى أمه تبسمت وكأن لم يكن قد حدث منه شيء.. وأنى لها أن تعتب على فلذة كبدها.. ولكن.. هل يرضي هذا الله؟.. ثم إن كان ذلك فما معنى قوله تعالى : ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا)).. وهذا قضاء وحكم وجوب من رب العزة على عدم التأفف وهو الأصغر.. وما علمت الأم تبالي بالتأفف ولكنه طاعة لله ، وتأدب معه ، وقد قرن ذلك بالإخلاص له وعدم الشرك.. ومرة أخرى قرن فقال: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)).. إذا كان لك رغبات في الحب والكره ، وذبذبات في الرأي فمتى كان لك أن تقيس الرضا بمعيارك وتظن أنه رضى للوالدين فقد هلكت يا أسعد.. أما رأيت كيف يستدل الطائر

وينكسر إذا خفض جناحه للنزول فكذلك اخفض لهما جناح الذل من الرحمة.. وهذا ما فهمه ذلك السلف الصالح.. أما سمعت عن ذلك الرجل الذي حمل أمه على عنقه حاجاً وكان يرتجز وهو يطوف ويقول :

إني لها بعيرها المذل
إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم التفت إلى ابن عمر وقال له : يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال : لا ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكن أحسنت ، والله يثيبك على القليل الكثير.

- قال الفتى : وأكملت أمي قائلة : إيه يا بني.. كم كنت أتمنى أن أراك شاكرًا لي قلباً وقالباً ، وكم كنت لا أراك إلا مرات قلائل ربما يمر اليوم واليومان ولا أراك.. وقد شغلت بمعافسة زوجتك وأولادك.. وأحن أن تتمثل الطاعة الحقة التي عرفها أبو هريرة رضي الله عنه عندما كان في بيت غير بيت أمه ، فإذا أراد أن يخرج مر ببيت أمه ووقف على بابها فقال : السلام عليك يا أمته ورحمة الله وبركاته ، فتنقول : وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته. فيقول : رحمك الله كما رببني صغيراً ، فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيراً.. ثم إذا أراد أن يدخل بيته صنع مثله... بربك يا بني هل كنت تستطيع أن تتخلف عن زوجتك يوماً أو يومين.. لا..

- قال الفتى : قلت : ولكن يا أمه كانت سليطة اللسان لا تتركني.. أما أنت فطيبة القلب.. "

- قال الشامي : قالت : هو ذاك.. إنها سلعة الله.. ولكني لا أعلم ما يفعل بي غداً حتى أصفح عنك أولاً.. فذلك اليوم الذي سنتقابل فيه هو اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه.. لكل منا شأن يغنيه.. وهو يوم لا أعرف فيه إلا نفسي!!..

- قال الشامي. فتأملت ما خطر لي وبكيت وأنا أقول :

فضيعتها لما أنست جهالة وطال عليّ الأمر وهو قصير
فأهاً لذي عقل ويتبع الهوى وواهاً لأعمى القلب وهو بصير

ولكن هيهات.. ولات حين مندم...

- قال الفتى :.. أما بعد.. فإني لا أعلم هل يقدر لي الله من الأعمال الصالحات ما يؤهلني للتوفيق في الحياة والاستغفار عن ذنبي ، أم تراه يصيبني بتفريطي في حقهما يوم كانا.. وكم رأيت من عبر ودولة الأيام على الناس.. فالله منتقم... والله بالمرصاد..

.. فيا غافل.. وما زال والدك معك.. وما زالت أمك معك.. أما لك في قصتي معتبر؟! اسمع يا أبا الإسلام ، والله إني أخشى عليك وعلى أهلك وأولادك الهلاك.. كن على حذر.. وتأمل معنى آية التأفف.. ((فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ)) وحسبي بها.. فرفع طرف الأم نحو السماء مصيب :

إذا التفتت نحو السماء بطرفها كن حذراً من أن يصب قلبك السهم

وفي آية التأفيف للمرء مقنع ولكنه ما كل عبد له فهم
ودونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقير
وطاعتها وبرها قولاً وعملاً ، لا قول لطيف.. وعمل هباء.. فالكلمات لا تغني ولا
تشبع من جوع. أما تعرف من هم أصحاب الأعراف؟.. جاء في بعض التفاسير عنهم
أنهم أقوام قتلوا في سبيل الله ولكنهم خرجوا بدون إذن آبائهم فكانوا من أصحاب
الأعراف.. ومن قال لك يا مسكين أنك ستموت شهيداً؟ وقد خرجت بطراً لمشاغل
الدنيا.

- قال الفتى الشامي : يا أخا الإسلام.. لا تظن كما ظننت سابقاً أن طاعة الآباء
والأمهات حسب رغبتك وهواك ، وإنما هي حسب ما يرغبان هما.. وإلا لهان
الأمر!!

- قال الفتى : كنت أظن أن أبي سيئ الطباع.. وأمي شرسة نمامة ، ولكني أتأمل اليوم
وأقول : إن ذلك الرجل الذي قد خلقه الله منبوءاً أو مكروهاً بين الناس طوال حياته
المديدة فكان يتألم ويحتقر.. قد ضمن له الله ألا يظلم.. ووعدته بتاج يناله حقاً وهو
إذعان أولاده له إذا ما كبر..

- قال الشامي :.. فبأي حق يا شامي قد انتزعت هذا الحق من أبيك؟.. إنه والله الهوى
وحب النفس.. ويك يا شامي يوم تعرض الموازين القسط.

يا أخا الإسلام.. يا من رغبت بزوجتك وفرحت بها متجاهلاً أمك.. ويا من
رغبت بمالك وعيالك وأصدقائك عن أبيك.. تأمل معي كيف تكون الطاعة.. أما تذكر
قصة الثلاثة الذين كانوا في الغار.. نعم.. قال الأول : اللهم كان لي أبوان شيخان
كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فناء بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما
حتى ناما.. فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما فلبثت والقح
على يدي أنظر استيقاظهما.. حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن
كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة.. تأمل أخي بأي
شيء توصل إلى ربه.. بالطاعة الحقة.. ومن يفعل هذا اليوم فعله؟! فكم ترى زوجات
مترفات منعمات.. وأنى للأم المسكينة من أن تغبق أولاً ، وكم من أبناء قد أترفوا
بنعيم وأنى للأب أن يغبق قبلهم...

أخا الإسلام.. لا تظنني أريد تفريطاً في حق الزوجة أو الأطفال ولكن أعط كل ذي
حق حقه.. وإياك وما أنا فيه.. واغتنم حياتهما ، ورغم أنف امرء أدرك أبويه أحدهما
أو كلاهما ولم يدخل الجنة.. وما هي إلا مرارات وآلام أجترها يوشك أن تنسينيها
الأيام ولكن من لي بمحوها من اللوح المحفوظ.. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه...
.. ثم إنك توشك أن تقول لي : ولكن لست كأفعالك فاعل فما قدمت على أبي زوجة ،
وما رفعت على أمي صوتاً.. وأنا أقول لك : صدقاً قلت ولكن.. أما وإن أوشكت أن

تصر على سلامة سيرتك معهما.. فشد الوثاق ولا تمن.. فذلك هو رباط قد هداك
الرحمن لحرسته وحفظه فدونك وتوثيقه... ويا سعادتك.

شعر

إلى متى؟

شعر : أبي معاذ الخالدي

تحية يا فتى الإسلام والعرب في غمرة الليل والإعصار والغضب
تحية .. وفلول الحق لاهثة ووائب الحق رغم الحرق لم يثب
تحية .. لك في السراء أبعثها وفي الشدائد في الآلام في النكب
ومن دياجي ملمات يضيق لها صدر الحليم أناجي كل ذي أرب
من أمتي وعوادي الدهر تطحنها في مهمة القحط والأجداب واللغب
من أمتي أمة كانت مكانتها فوق الثريا تخطت هامة الشهب
عزاً وبأساً .. وإيماناً تلوذ به في كل مصطدم في الدهر مضطرب
تجتاز ليل البرايا من مشاعلها وهج الهداية يجلو ظلمة الريب
شبابها درة الأكوان ما جنحوا لغير حق .. وما مالوا إلى لعب
إذا جنا الليل لم تلبث مضاجعهم أن حركتهن ترنيمات مغترب
جثوا أمام شديد الطول خاشعة أبصرهم ودموع الذل في صيب
والوحي عطر أجواء الظلام ولو لا الوحي ما بزغوا كالصبح من عجب
تمتد أعمدة الضوء التي هتكت بقوة الحق ما استعصى من الحجب
يا ليل كم شهدت عينك من بطل يبكي أمام جلال الله في رهب؟
وفي النهار ليوث.. كان واحدهم في ساحة الحرب كالإعصار كاللهب
في كف أروع لا يخشى وإن الموت ينقض كالموتور من قرب
والله أكبر .. رغم اليأس قنبلة عنيفة الحس ترمي القوم عنه كذب
يا للشهادة .. أعيتهم مذاهبها حيناً فما يئسوا من شدة الطلب
وللسيوف المواضي كم قضت وطراً وكم رأت خطراً في لجة الغضب؟
أولئك القوم أبائي مفاخرهم مفاخري.. وأنا أولى الورى بأبي
أعظم وأكرم بجيل كان منبته روض العقيدة في إثمارها العجب
ويا سعادته .. والكون يحضنه وينتشي من عظيم الحب كالحب
ويا شقاوة أعداء قد احترقوا أحقاداً وضاق عليهم واسع السهب
غشى النواظر حتى ما تكاد ترى من الحقائق إلا صورة الكذب
فعد إلى الله.. يامن عضه الألم الدامي ويا من ربي في دجية الريب

واحمل إلى الكون نور الحق إنك إن تحمل إلى الكون نور الحق في غلب

معضلة التاء المربوطة والهاء!

منصور الأحمد

يشيع اليوم علي أقلام الكاتبيين: طلاباً، ومدرسين، وصحفيين، وحتى أدباء خطأ يحسبونه بسيطاً ولكنه ليس بذلك، إذ إنه يوقع في عدم الدقة والالتباس وهو عدم الاهتمام وقلة الاكتراث بالتفريق بين حرف الهاء (هـ، هـ) والتاء المربوطة (ة، ة) وعندما تحاول لفت نظر من يقع في مثل ذلك في كتابته يجيبك في استغراب وكثيراً في عدم اكتراث: ما الفرق؟! فتقول له: الفرق أنهما حرفان مختلفان لكل منهما وظيفته، وشتان ما بينهما، وإن تشابها في الظاهر، ويجب أن يكون أحدهما منقوطةً، وهو (التاء المربوطة) والآخر غير منقوط ، وهو (الهاء).

وللتمثيل لذلك فإن: شجرة، مكتبة ، وجميع الأسماء التي تنتهي بتاء مربوطة يجب نَقْطُ تائها وصلأً ووقفاً ، غاية ما في الأمر أننا عندما نقف عليها نلفظ التاء هاءً (وهذا هو الذي يوهم من لا تدقيق عنده ومن لا يعير ذلك انتباهه أنها هاء فيتركها بدون نقط).

أما الكلمات : جباه (جمع جبهة) وجوه ، الله ، تنبيه ، معنوه... فهذه الكلمات تنتهي بالحرف(هـ) ولا يصح بحال نقطه لأننا نقرؤه هاء في حالتها الوصل والوقف. وكذلك الكلمات: كتابه، قوله، دوره- تكتب هاء لا تاء مربوطة (أعني هاء دون نقط) لأنها هنا هاء الضمير وتقرأ هاء وصلأً ووقفاً ، ولو نقطناها لربما حسبت : كتابة (مصدر كتب) قوله (المررة من القول) دورة (المررة من الدوران). وهناك خطأ آخر (وهو متفرع من عدم التفريق بين التاء المربوطة والهاء) ولكنه لا يظهر إلا في القراءة وهو لفظ التاء المربوطة أثناء القراءة هاء ساكنة مثل : (عاد الطلاب إلى المدرسه بعد انتهاء العطلة الصيفية) والواجب أن تقرأ (عاد الطلاب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة الصيفية) وقد يلجأ بعض الناس إلى لفظ التاء هاء ساكنة أثناء القراءة لأنه لا يعرف حركة التاء أهي: ضمة أم فتحة أم كسرة؟ وهنا يصبح الخطأ الإملائي هروباً من الخطأ الإعرابي، ولا يظن من يفعل ذلك أنه ارتكب خطئين وتداوى من الداء بداء آخر.

إن هذه الملاحظات ربما تقابل بهز الكتف من فئتين :

أ - فئة غير مقتنعة بأن هذا الأمر ذو بال ومهم إلى درجة التنبيه عليه ، بل لا تعتبر أمر اللغة العربية كله من الأمور التي ينبغي صرف الجهد إليها ونحن هنا لا

نعني غير المسلمين، أو أعداء الإسلام بل نعني كثيراً من المسلمين ذوي النوايا الطيبة.

ب - وفئة أخرى تعتبره تحصيل حاصل، وهناك من أمور اللغة ما هو أهم منه لبذل الجهود ، وقد يستكثرون أن ينبه على موضوع كهذا في مجلة. ولنا أمل في كل من يقرأ هذه الملاحظات من الفريقين أن يغيروا من رأيهم ويعطوها شيئاً من الجدية ، فضعف العربية ليس إلا ضعفاً لأهلها ، والخطأ فيها منها كبائر ومنه صغائر، ولكن الصغائر إذا صاحبها التكرار والإصرار أصبحت كبائر.

هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟

محمد العبدية

من أصعب الأمور في الدراسات الاجتماعية أن تظن أنك في معمل للكيمياء، أو أنك أمام معادلات رياضية، إذا أضفت هذا العنصر إلى ذلك، أو هذا الرقم إلى أخيه فلا بد أن تكون النتيجة معلومة محددة، فالنفس الإنسانية تأبى هذه المعادلات، بل هي أعقد مما كان يظن علماء النفس في أول هذا القرن.

وفي تحليلنا لحوادث التاريخ، أو عندما نصف عصاراً من العصور لا نستطيع - وبكل بساطة - أن نلقي الكلام على عواهنه، ونحدد طبيعة هذا العصر أو ذلك بجملة واحدة وكأنها بديهية رياضية. ومما يتردد على الألسنة قول بعض المؤرخين أو الأدباء الذين يكتبون في التاريخ أن الدولة العباسية (دولة أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان دولة عربية أعرابية) (١) هكذا وبهذا التعميم، وبهذا الإطلاق تصبح هذه الكلمة مسلمة لا شك فيها ولا جدال، وهذه التعميمات والنظرة الأحادية للدول تطبق أحياناً على الأفراد فيظن الناس أن هذه صفاتهم الرئيسية، وباقي الصفات ضعيفة، كما يقال : شجاعة عليّ وحياء عثمان رضي الله عنهما، فيظن البعيد أن علياً شجاع بلا سياسة، وأن عثمان حيي بضعف.

إن هذه التعميمات في الأحكام قد تكون صادقة في جانب من الجوانب، ولكنها لا تعطي الصورة الصحيحة للموضوع المتحدث عنه، وهذا من أكبر المغالطات التي تحجبنا

عن التفكير السليم، بل وتحجب الحقائق عنا لأننا لم نتعود الدخول في التفاصيل والجزئيات التي باستقرائنا لها نكون أقرب للصواب.

وقبل أن نجيب على السؤال المتبادر: هل الدولة العباسية أعجمية خراسانية؟ أحب أن أوضح طبيعة الدعوة العباسية أولاً ثم الدولة العباسية ثانياً.

أولاً : نشطت الدعوة العباسية كحركة مضادة للدولة الأموية، همها الأول إسقاط الحكم الأموي مهما كانت الوسائل، فهي حركة منظمة ترفع شعارات عامة لتجمع

الناس من حولها، وينضوي الكل تحت لوائها، كل حسب فهمه وتوقعاته، ولا مانع لديها من العمل بواجهات متعددة ومختلفة، فهي إسلامية ترفع شعار العدل ضد ظلم بني أمية، وهي هاشمية ترفع شعار أحقية بني هاشم دون تفريق بين آل العباس أو آل علي. وهي في خراسان تتقرب من السكان الأصليين ومن العرب اليمانية الذين استقروا هناك، ومن قوادها ومنظميها عرب وخراسانيون ، وقد ينضم إليها من يحمل في نفسه أغراضاً دينية وسياسية بعيدة كل البعد عن الإسلام. يقول ابن تيمية واصفاً هذه الحالة: " وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم- حيث قال : «الفتنة هاهنا» (٢) وظهر حينئذ كثير من البدع... وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس وأحسنهم إيماناً وعدلاً وجوداً فصار يتتبع المنافقين الزنادقة (٣).

ثانياً : ولكن الدعوة بعد نجاحها وتحولها إلى دولة تبنت المذهب السني ، وتجد الدولة نفسها في صراع مع أصحاب المذاهب الهدامة من (مانوية) أو (بابكية خرمية) "وعندما لم تجد في العراق ما يكفي من العلماء لنشر السنة أتوا من المدينة بعلماء مهدوا السبيل كربيعة بن أبي عبد الرحمن ويحيى بن سعيد ، وارتحل إليهم هشام بن عروة وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ومحمد بن إسحاق ، ومن حينئذ بدأ ظهور السنة هناك" (٤).

ويقول ابن تيمية : " وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهداً للصلوات في أوقاتها من بني أمية، فإن أولئك كانوا كثيري الإضاعة لمواقيت الصلاة كما جاءت فيهم الأحاديث :

"سيكون من بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة" (٥).

وهذه الدولة فيها ظلم أيضاً وقع من ملوكها أو ولاتها وفيها بدع تبناها المأمون وإخوته، وترجموا كتب اليونان التي كان لها الأثر السيئ على الأمة الإسلامية ولكنها تبقى دولة إسلامية كما جاء في الحديث "ثم يكون ملكاً عضوضاً" ويصفها المؤرخ ابن طباطبا : بأنها دولة فيها مكر وخداع ، وفي تعليق للذهبي عن تحول الدولة إلى بني العباس قال: "فرحنا بمصير الأمر إليهم ولكن والله ساءنا ما جرى من سيول الدماء والسلب والنهب" (٦).

ونستطيع القول: إن الدعوة العباسية أرادت أن تكون دولة إسلامية غير منحازة لفريق دون آخر ولكنها لم تتخذ الوسائل الكافية لذلك ، بل وقعت فيما أبت وتسلط عليها في بعض الفترات أسر ذات نفوذ كبير، ثم تسلط عليها الأتراك.

ونعود للسؤال الأول: هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟ فنقول:

١- إن مؤسسي هذه الدولة من بني هاشم من صميم قريش وكانوا مؤسسين فعلاً وليسوا أداة بيد أحد ، والذي خطط لهذه الدعوة هو محمد بن علي بن عبد الله بن

العباس وقام بتنفيذها بعده ابنه إبراهيم. وبدأت الدولة بأخيه عبد الله الملقب بالسفاح ثم بأبي جعفر المنصور ، وكانوا أقوياء ولا يستطيع أحد أن يتخذهم أداة لتنفيذ أغراضه. ٢- كان عدد النقباء الذين يشرفون على الدعوة في خراسان وغيرها اثني عشر نقيباً معظمهم من العرب أمثال :

سليمان بن كثير الخزاعي ، وهو رئيس النقباء وشيخهم.

مالك بن الهيثم الخزاعي.

طلحة بن رزيق الخزاعي.

موسى بن كعب التميمي.

القاسم بن مجاشع التميمي.

قحطبة بن شبيب الطائي.

خالد بن إبراهيم الشيباني.

سالم بن سلام البجلي.

٣- إن اصطلاح (أهل خراسان) لا يعني بالتأكيد أن جميعهم من سكان البلاد الأصليين، فالعرب استوطنوا قرى خراسان ومدنها، وكثير منهم من العرب الذين هجرهم زياد بن أبيه حين كان أميراً على العراق ، وذلك لشغبهم على الأمويين ، وكثيراً ما يظن بعض الكتاب أن فلاناً أعجمي بسبب نسبته إلى إقليم أو مدينة في إيران، والحقيقة أنه عربي فالذي يسمع باسم جديع بن علي الكرمانى يظنه أعجمي وهو من رؤساء الأزدي ، أو الفضل بن سليمان الطوسي وهو من تميم (٧).

٤- من الأدلة على أن عرب خراسان ساهموا في الدعوة العباسية ما تؤكدته رواية في مخطوط (أخبار العباس) تقول: "طالت الفتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرمانى ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابها، وجعلت نفوسهم تنتطلع إلى غير ما هم فيه وإلى أمر يجمعهم ، فتحركت الدعوة يدعو اليماني اليماني والربعي الربعي.."(٨).

ولا شك أن الموالي لهم دور في قيام الدولة ، فالدعوة كما قلنا قامت بواجهات متعددة.

٥- وأما ما يذكر عن رسالة إبراهيم بن محمد بن علي العباسي إلى أبي مسلم الخراساني الذي يقول فيها: "... وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل... " (الطبري ١٤ / ٦) فهذا الجزء من الرسالة فيه تناقض صريح، فكيف يعتمد على نقباء عرب وعلى قبائل عربية ويوصي خاصة باليمانيين ثم يقول له اقتل كل عربي. وقد حاول الدكتور يوسف العث في كتابه عن الخلافة العباسية أن يثبت تصحيف هذه الجملة وأنها ربما تكون (إنساناً مريباً) وحاول منقح الكتاب أن يثبت أنها (لساناً غريباً) ولكن الدكتور فاروق عمر أثبت من خلال مخطوط (تاريخ الموصل) للأزدي أن الرسالة كتبت بهذه الصيغة (فاقتل من

شككت في أمره ومن كان في نفسك منه شبهة، أو وقع في نفسك منه شيء ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله (٩). ونحن هنا لا نناقش الوصية من حيث قسوتها أو وحشيتها ، فالأزدي نفسه الذي أورد هذا النص أنكر على العباسيين قسوتهم على حركة قامت بالموصل ، والذي نريد التأكيد عليه هو أنه لا يمكن أن يصدر كلام متناقض من قبل منظر كبير للدعوة مثل إبراهيم الإمام.

٦- إن العباسيين بعد أن استقر لهم الأمر استخدموا أفسى الوسائل مع خصومهم سواء كانوا عرباً أم خراسانيين فقد قتل أبو سلمة الخلال الذي كان يسمى بوزير آل محمد ، وقتل عبد الله بن علي العباسي عم الخلفاء السفاح والمنصور لأنه منافس خطير لأبي جعفر على الخلافة ، وقتل قائدهم المشهور أبو مسلم الخراساني، كما جابه المنصور حركة الرواندية الباطنية بعد أن أصبحوا خطراً على الدولة ، أما قبل ذلك فلم يتحرك لهم وعندما نصح بضربهم قال. "دعهم يدخلون النار في طاعتنا على أن يدخلوا الجنة في معصيتنا"(١٠).

وأخيراً فإننا لا نستطيع أن نبرئ الدولة العباسية بشكل عام من الوصف الذي وصفت به لأنه قد تسلط فعلاً بعض الأسر الأعجمية الذين لهم هوى وثقافة معينة يريدون تطبيقها على نظم الحكم أو العادات والتقاليد ، ومن أمثلة هذه الأسر. البرامكة ، وبنو سهل ، وبنو طاهر ، ولكن الخلفاء في هذه الفترة كانوا أقوياء وعندما كانوا يشعرون بجدية خطر هؤلاء كانوا يستأصلونه.

وقد يقال إن طبيعة التطور في أمثال هذه الدول أن تستعين بالأبعاد حسداً وحرصاً وبعداً عن أطماع الأقارب وإن كان فيه هلاكها في النهاية. وقد وقع لبني أمية في الأندلس قريب من هذا وتبقى المشكلة في هذا الفكر الذي يريد أن يلخص حال دولة بجملة واحدة ، ولا يحب الدخول في تفاصيل الأسباب الكثيرة والجزئيات ، هذه النظرة القاصرة الأحادية للأمور وعللها والتي لا زالت تؤثر في حياتنا وتقويمنا للأشخاص والأشياء.

الهوامش :

- ١ - هذه الكلمة للجاحظ ويرددها كثير من القدامى والمعاصرين.
- ٢ - يعني من المشرق.
- ٣ - مجموع الفتاوى الكبرى ٤ / ٢٠ ،
- ٤ - محمد بن الحسن الحجوي : الفكر السامي في تاريخ التشريع الإسلامي ١ / ٣١٥ ، تحقيق د. عبد العزيز القارئ.
- ٥ - الفتاوى ٤ / ٢١ ،
- ٦ - سير أعلام النبلاء ٦ / ٥٨ ،
- ٧ - د. فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي / ٣ ، ٤ ،
- ٨ - المصدر السابق / ٤٨ ،

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته ثورة.. ولا كالثورات

إن انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة هي الحدث الذي شغل العالم طيلة الأشهر الأربعة الماضية، فقد سيطرت أحداثها على نشرات الأخبار العالمية، وتناقلت صورها كل شاشات التلفاز ، وكان لها صدى واسع ومؤثر في جميع العواصم ، واستطاعت أن تحدث انقلاباً في النظرات على مستوى لم يسبق له مثيل.

فقد أحدثت تغييراً جوهرياً في نفوس كثير ممن كانوا ينظرون إلى القضية الفلسطينية على أنها مشكلة حفنة من اللاجئين، وفتحت أعينهم على رؤية شعب عملاق نهض من سباته، على الرغم من وقوعه تحت وطأة الاحتلال حوالي أربعين سنة. وأحدثت دفعاً قوياً لثقة هذا الشعب بنفسه ، حينما رأى مقاومته غير المتكافئة للعدو تحدث هذه البلبلة والحيرة في صفوف اليهود وأنصارهم. فزاده ذلك إصراراً ، وفجر طاقاته الكامنة. فهذه البلبلة والحيرة التي وقعت لليهود انعكست إيجابياً على أهل فلسطين ، وجعلتهم يواجهون آلة العدو العسكري بصدور عارية إلا من الإيمان ، وأيد مجردة من كل سلاح إلا سلاح الحجارة ، وشفاه يقترن فيها هتاف " الله أكبر " بمقت اليهود ومن يقف خلفهم. وكذلك أوقعت هذه الأحداث المفاجأة في نفوس لصوص الحركات الجهادية والمقاومة الحقيقية ، نعني. مناضلي المكاتب وردعات الفنادق الفخمة ، فانطلقوا - كعادتهم - يتزلفون وينافقون وينفون أي خلاف بينهم وبين من هم داخل دائرة الاحتلال.

فإذا قال قائل : إن هذه الانتفاضة سوف تستغل من الجهة الفلانية أو الجهة الفلانية ، فنحن نقول لهم: هذه حركة إسلامية سوف تؤتي أكلها ولو بعد حين .. وأعظم ميزة لهذه الثورة الفريدة في وجه الاحتلال الغاصب هي إدراك الجيل الفتى من أبناء فلسطين أن انتظار الفرج من وراء الحدود لم يعد بالحل الأمثل، وأنه - في ظل الظروف العامة للمنطقة وشعوبها ومعاناتها المتراكمة - لم يبق إلا الاعتماد على النفس من مخرج ، فقد فتح هذا الجيل عيونهم ليرى نفسه وجهاً لوجه مع أقسى أنواع المعاناة :

١- عدو جائم مستهتر ومستمر في اجتثاث جذور هذا الشعب من أرضه ، وزرعها - من جديد - بشذاذ الآفاق الذين يستجلبهم من كل مكان.

٢- وجيل سابق أدركه التعب ، وكاد يقتله اليأس نتيجة لتناوب النكبات عليه.

٣- وصراخ كثير ينبعث من وراء الحدود ، ذو ألوان متعددة : شرقية وغربية ، يجار به مهرجون محترفون بتوجيه السباب للصهيونية والإمبريالية والرجعية. وبتضخيم أدوارهم في ساحة كادت تخلو إلا منهم ، ومنظمات وأنظمة تتناخى وتزبد وترغى! ولكن ، ماذا كان نتيجة ذلك كله؟! ... لا شيء!

إن هذا الجيل قد فهم "ألف باء" النضال ببساطة شديدة، ولم يعد يحتاج إلى أمثلة بعيدة عن أرضه يحتذيها لمحاربة الغاصبين، ولم يترب ويتثقف لا على (أدبيات) حرب فيتنام، ولا على (نضالات) جيفارا ورفاقه! وإنما استمد عناصر الكفاح من (الله أكبر) التي لا تزال ترتفع من المآذن المزروعة في أرضه، واستلهم مواجهة العدو المسلح حتى الأسنان من روح الشهادة والشهداء التي هي من بدهيات دينه الذي لم ينتشر ظله على هذه الأرض بسهولة ، بل بعد أن تجمخت بدماء الشهداء ، وضمت بين أحضانها صفوة الخلق من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن سار على نهجهم من المسلمين المجاهدين دعاء الحق والخير والعدل والحرية. إن البطولات التي يظهرها أبناء فلسطين في مواجهة أعداء الله أمثلة ترتفع لها هامة كل مسلم وكل عربي ، بل كل مهضوم الحق يؤمن أنه بالإصرار على حقه سيصل إليه لا محالة.

وإن الشهداء الأبرار الذين سقطوا برصاص العدو الغادر ، وبآلة قمعه التي تسلحه بها أمريكا وحليفاتها ؛ هم الذين يضيئون لهذا الشعب طريق العزة و الكرامة.

على مدى أربعة أشهر كانت أيام الجمعة مناسبات تشحن روح التصدي لهذا العدو ، ويعبر فيها المسلمون في فلسطين عن غضبهم من استمرار الاحتلال ، ويستهنون فيها بأسلحة المرتزقة اليهود، فيسقط منهم القتلى، ويتعرض الكثير منهم للضرب والتكيل بكافة صنوفه وأشكاله، وغدت المساجد - كشأنها دائماً - معاقل للإعداد والمقاومة، ومثابة لطالبي التوبة الذين تخلوا عن الضعف والخمول، وانضموا إلى صفوف هؤلاء الفتيان المفعمين بالحيوية وكرامية العدو اليهودي.

ومما يلفت النظر مسارعة أصحاب النفوس الضعيفة - الذين كانوا يتعاونون مع العدو، ويقدمون له المعلومات عن إخوانهم ، ويعملون كجواسيس و عيون تبليغ السلطات الصهيونية بتحركات أهلهم لقاء منفعة رخيصة ، أو بسبب عداوة وحقد شخصي- نقول: مسارعة هؤلاء لإعلان توبتهم في المساجد على رؤوس الجماهير ، ندماً علماً فعلوا ، أو خوفاً من غضبة هذه الجماهير الصادقة التي من المتوقع أن تذهب بهم وبمن يعملون لهم.

إن من حق فلسطين على المسلمين في كل أنحاء العالم أن يقدموا ما يستطيعون من دعم ومساندة لأهلها الصابرين والمرابطين في وجه العدو الصهيوني ، وأن

يفكروا بطرق جدية بعيدة عن أساليب الدعاية والمزايدات كيف يكونون عمقاً حيويًا لهذه الهبة التي لا ينبغي أن نقف منها موقف المتفرج.

أقوال على هامش الانتفاضة

الأدلة المتوفرة الآن في أرشيفات الدولة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي تفند الخرافة الدعائية المستحيلة والقائلة بأن رحيل الفلسطينيين الجماعي عن أراضيهم كان طواعية، وبأمر من القيادة العربية العليا.

الحاخام دايفيد غولد بيرغ - عن جريدة الاندبندنت

"الصواب والخطأ في فلسطين كما في أي مكان آخر، ولكن الشيء الغريب في المسألة الفلسطينية هو أن العالم أصغى للطرف الذي ارتكب المخالفات ، وأصم أذنيه عن الاستماع للضحية".

أرنولد توينبي

السجون والإبعاد وحتى الموت تعتبر المدارس التي يولد فيها الثوار الحقيقيون.

كريستيان ساينس مونيتور

" لا أستطيع أن أغفر للعرب إجبارهم لأبنائنا على أن يطلقوا النار عليهم! "

غولدا مائير

هدم العقيد لمزاجيته

أفضل من هدم سجن

من قذائف الحاكم بأمره في ليبيا الجديدة أنه أعلن في خطاب ألقاه أمام ما يسمى بمؤتمر الشعب العربي أنه سيدهم مع ذوي المسجونين السجن الموجود في طرابلس وسيهدمه ثم يفرج عن أربعمئة ليبي معتقلين فيه. وأنه سيتحمل شخصياً مسؤولية هذه الخطوة وما ينشأ عنها، وأنه لا مكان للسجون في ليبيا .. وفي اليوم التالي نفذ ما وعد به حيث قاد بنفسه "بلدوزر" وبدأ بهدم جدار السجن وكان حوله عدد كبير من رجال السلطة وذوي المعتقلين، وفي مشهد عاطفي مؤثر خرج السجناء يعانقون أقرباءهم والدموع تتساقط من أعين الجميع وكأنها حبات المطر ، و"كاميرات" التصوير تنقل هذا المنظر المؤثر وهذا ما يحرص عليه ويعشقه الحاكم بأمره في طرابلس.. وغير مستغرب على المعتقلين وذويهم أن يتفاعلوا مع هذا الحدث فلقد كانوا يظنون أنهم لن يلتقوا في هذه الدنيا وكان الأهل لا يعلمون فيما لو كان أبناؤهم أحياء أو أمواتاً. وفي الوقت نفسه كان مكتب الاتصال الخارجي

يبلغ البعثات الدبلوماسية في طرابلس. هذا القرار الذي ينص على الإفراج عن المعتقلين الأجانب أيضاً.
وأعلن صاحب القذائف في المؤتمر الآنف الذكر أن جميع المواطنين العرب يمكنهم اعتباراً من الآن الدخول بحرية ومن دون أي قيد أو شرط إلى ليبيا، وقال بالحرف الواحد:

" نحن نعلن أنه اعتباراً من هذه اللحظة أن ليبيا هي أرض كل العرب بمقدورهم دخولها عبر جميع المنافذ وسوف نقاوم أي شخص يمنع أي عربي من دخول ليبيا بحرية تامة من دون قيد أو شرط ". وتوعد الذين يعرقلون منح تأشيرات للعرب فقال:

" إذا سمعت أن أي مكتب أخوة أو مكتب شعبي في الخارج منع أي عربي عن القدوم إلى ليبيا بحرية سوف أرسل له جماهير من هنا أو جماهير عربية هناك لتزحف عليه وتدمره".

وفي ٢٤ رجب عام ١٤٠٨ هـ تجمع آلاف المواطنين أمام مبنى الجوازات والسفر وفي مقدمتهم الذين كانوا ممنوعين من السفر، وتقدمهم العقيد معمر حيث دخل بهم المكاتب وأمر بإحضار ملفات ممنوعين، ثم بدأ بتمزيقها وشاركته جماهيره في التمزيق، وقام بتسليم ممنوعين من السفر جوازاتهم الممنوعة. وغير مستغرب أن يكون هذا الحدث موضع اهتمام الناس في الوطن العربي، وبشكل أخص في ليبيا لأن مثل هذا الأمر يعد ظاهرة جديدة، ولأن الشعب العربي عاطفي ينسى العقل والمنطق بل والتاريخ والجغرافيا أمام الأحداث المؤثرة التي تمر به.. ونحن في "البيان" نحرص على عرض هذا الحدث في إطاره الصحيح، وننبه القراء أولاً إلى أنه لا يجوز تجاوز الأحداث التي شهدتها ليبيا خلال الأعوام الماضية، لقد قامت عدة انقلابات عسكرية ضد العقيد كان آخرها قبل حوالي شهرين، وفشل الانقلاب ورافق فشله بطش وتنكيل وسفك دماء، وتحركت القبائل تطلب الثأر من النظام، وأصبح العقيد وقبيلته في وضع لا يحسدون عليه.. وجاءت هذه المحاولة بعد الصدمة العنيفة التي تعرض لها نظام العقيد على يد القوات التشادية، وساد الذعر في أوساط الجيش وأدرك أفراده أن الحاكم بأمره يزوج بهم في معارك ليس لهم من ورائها أي مصلحة، وكثر التذمر بين رجال القوات المسلحة، وانتشرت ظاهرة الهروب من الخدمة، وأصبح رجال مخابرات العقيد وجماهيره كالجيش الانكشاري غير قادرين على ضبط الأمور، ورجل المخابرات ليس مستعداً دائماً للوقوف مع النظام ضد أهله وذويه. أما ضباط الجيش فيتساءلون: مهما فعلنا لن نكون عند الحاكم بأمره كما كان زملاؤه في مجلس الثورة. لقد بطش بمعظمهم، فناس منهم علم الناس بموتهم، وناس آخرون لا يعرف أحد فيما لو كانوا أحياء أو أمواتاً، ويقولون أيضاً: إلى متى سيبقى هذا الرجل يطلب منا أن نفكر بعقله

وليس بعقولنا؟ هل هذا هو الإسلام الذي زعم أنه جاء ليكون جندياً من جنوده ، أم هذه هي أخلاق العرب حيث يتشدد دائماً بأن أمه الوحيد تحقيق الوحدة العربية؟ أم هذه هي الحرية والتقدمية والديمقراطية التي يكثر من تردادها؟! ويطارد العقيد كابوس المعارضة في الخارج يزيد عددهم على ستة عشر ألفاً من كبار المثقفين وأصحاب الاختصاصات العلمية المهمة وهؤلاء يؤثر غيابهم على مستقبل بلد لو كان عدد سكانه أضعاف عدد سكان ليبيا، فكيف يكون الحال مع بلد يقل عدد سكانه عن ثلاث ملايين نسمة، ومساحته واسعة جداً، ولهؤلاء أنصار أكثر داخل السجون الصغيرة، والكبيرة في ليبيا ، ولا ندري هل شملتهم قرارات الإفراج أم لا؟!

هذا العدد الضخم من المعارضة لا يتقون بالعقيد ، ويؤكدون بأن هذه ليست المبادرة الأولى في سياسته الارتجالية ، ولا يتصورون بأن الأمن سيعود إلى ربوع ليبيا في ظل هيمنة الحاكم بأمره ، ويتساءلون كيف يطاردنا النظام ونحن في الخارج ، ويسخر قطاع الطرق والقراصنة والمجرمين لتصفيتنا في مختلف عواصم العالم ثم يزعم بأنه وفي موقف من مواقفه المزاجية قرر بأنه لن تبقى هناك سجون في ليبيا بعد الآن؟!

وفضلاً عن هذا كله فالشعب فقد المواد الضرورية من الأسواق، والعقيد يتحدث بعقلية راعي الإبل أو الغنم، ونحسب أنه سوف يصدر كتاباً أخضر جديداً يشرح فيه كيف يستغني عن العملة الصعبة في ظل نظام يقوم على المقايضة ، فمن يملك البيض يشتري خبزاً، ومالك القمح يشتري زيتاً ، وهكذا.. والخلاصة فنظام العقيد أشرف على الانهيار، وبات يشك بأقرب الناس إليه ، ونصحه زعماء قبيلته ، بأنهم لا يقبلون أن ينتقم الناس منهم وهم لا يستطيعون مقاومة الشعب كله، وفي مثل هذه الحالات عودنا الحاكم بأمره في طرابلس كما عودنا أشباه الحاكم بأمره على تفجير قذيفة من قذائفهم السلمية التي يمتصون عن طريقها النعمة الشعبية العارمة، فكانت مبادرته بهدم سجن من سجون طرابلس، وفتح البلد أمام المواطنين العرب .. وفي ثانياً هذه المبادرة تبرز شخصية العقيد المستبدة الظالمة التي لا يمكن الاطمئنان إليها، ونحسب أن بعض الناس سيقولون لنا: كيف يهدم الرجل سجناً ويفتح بلاده أمام العرب ثم تقفون منه هذا الموقف؟ ولماذا تتسرعون في إصدار الأحكام؟!

نقول لهؤلاء: على رسلكم وتعالوا نناقش ما قاله العقيد، وما قيل رسمياً عن هذه المبادرة:

* قال العقيد: اعتباراً من هذه اللحظة فستكون ليبيا هي أرض كل العرب ، إلخ... قال مثل هذا الكلام منذ بداية ثورته.. وعندما غضب من السادات طرد العمال المصريين بطريقة غير كريمة، وسجن بعضهم، وعندما غضب من بورقيبة أيضاً طرد العمال

التونسيين .. وليس هناك مانع يمنعه من تكرار مثل هذه الأفعال لأنه يتحرك بمزاجية غريبة.

* ومن جهة أخرى ماذا سيصنع العرب في ليبيا ، والبلد في حالة إفلاس وهو الذي يملك موارد هائلة من النفط ولكن العقيد أنفقها على ثوار كوستاريكا، ونيكاراغوا، وإيرلندا وحبش، وجنبلاط، وغيرهم .. وغيرهم. أما الحديث عن المؤسسات والمصانع التي أفلست وماذا فعل بها الخبراء السوفييت فهذا يحتاج إلى مقالات ، بل ويعرف عامة الليبيين مثل هذه الأمور التي تعد سبة عار في تاريخ هذا النظام. * وكيف نصدق أن هذا النظام سوف يفتح صدره للعرب وهو الذي قطع الرواتب والمساعدات عن شباب ليبيا الذين يدرسون في الخارج مما جعل نفراً منهم يرتمون هنا وهناك بحثاً عن لقمة العيش.

* قال العقيد بأنه يتحمل وحده مسؤولية الإفراج عن المعتقلين، ومن قبل تحمل وحده مسؤولية الزج بهم في السجون ، وتحمل وحده تبذير أموال الأمة. صحيح أن العقيد أفرج عن المعتقلين ولكن المشكلة أنه يتصرف بما يوحيه إليه عقله . إن كان الذين أفرج عنهم مذنبين فأين المحاكم والقانون والمحامون، ولماذا لا تعلن هذه الأمور على الملأ؟!.

لماذا لا يتفضل العقيد إن كان جاداً ويقول: كان عقلي كل شيء في حياتكم ، وقررت الآن العودة إلى المحاكم والقوانين ، وكل مواطن بريء حتى يدان ، ولا يدان إلا إذا دافع عن نفسه بحرية ومن غير كبت ولا إرهاب..

* قال العقيد: "إذا سمعت أن أي مكتب أخوة أو مكتب شعبي في الخارج منع أي عربي عن القدوم إلى ليبيا بحرية سوف أرسل له جماهير من هنا أو جماهير عربية هناك لترحف عليه وتدمره".

وهذا المقطع وحده من خطاب العقيد يفسر لنا نفسيته التي لا يستطيع التحرر مما تمليه عليه من هواجس وأهواء ، فهو دوماً صاحب القرار ، والجماهير ملك يديه من المحيط إلى الخليج - هذا إن سلمنا جدلاً بأنه قومي عربي - ومن يخالفه فمصيره الموت والدمار .. مسكينة أمتنا التي طالما ابتليت بمثل هذا الرجل العجيب الغريب ، والمدهش حقاً أن كثيراً من العاطفيين يعجبهم قول العقيد هذا ، ولو تأملوا قليلاً لوجدوا فيه محنة ليبيا التي استمرت حوالي عشرين عاماً!!

فالمكاتب الشعبية مكاتبك أيها العقيد ، ورجالها أنت الذي اخترتهم ، وهم أعز ما تملك فكيف لا يسلمون من تدميرك عندما يمنعون أي عربي من دخول بلدك؟ انتبه أخي القارئ إلى قوله (أي عربي)، فإذا افترضنا صدق العقيد هل يدمر المواطن الليبي لأنه منع مجموعة من تجار المخدرات مثلاً؟! ومن ثم لماذا قرار التدمير بيد العقيد وهو الذي يعتمد على أشبه ما يكون بصراع الطبقات ، ولماذا يستغرب العقيد تحرك قطعات عسكرية لتدميره وتدمير نظامه أو تحرك الشعب في الداخل والخارج

لمثل هذا الغرض؟ فهل قرارات التدمير التي يأمر بها شرعية وتقديمية والقرار الذي يصدره الشعب أو الطبقة الواعية من الشعب ليست شرعية ولا هي تقديمية؟! أيها العقيد العتيد: اعلم أن هذه المسرحية إذا انطلت على غوغاء الناس وعامتهم فلن تنطلي على ضباط جيشك، ولا على المعارضة في الخارج والداخل، ولن يقبل إنسان يحترم نفسه أن يعيش في بلد دستوره وقوانينه مزاجك ومواقفك المتقلبة .. وحتى عامة الناس سيشعرون بعد حين فقدان المصداقية فيما قلته وسوف تزداد نقتهم ، ولن يثقوا بك حتى لو تبت وصحت توبتك.

أيها العقيد النجيب. إن مزاجيتك لا يقبلها ولا يرضاهما أحد داخل ليبيا ولا خارجها فإذا قال الرجل الثاني في نظامك: إنني مؤمن بكتابك الأخضر، فاعلم أنه يكذب عليك كما تكذب أنت عليه وعلى غيره، فحدد موقفك وأعلن عن المبادئ التي تؤمن بها : * هل أنت مسلم وتريد تحكيم شرع الله كما أعلنت في بداية حكمك ، إذن لماذا تقول بإلغاء السنة والتي حكم عليك بسبب ذلك علماء المسلمين في العالم بالردة؟ .. ولماذا قتلت عدداً غير قليل من الدعاة ، وأئمة المساجد؟ ولماذا حاولت إرغام الطالبات على الخروج بغير إذن أهلن والتدرب على السلاح والاختلاط بالسفهاء من جماهيرك؟!

* هل تؤمن بالقومية العلمانية وتعتقد أنه لا فرق عندك بين أبي جهل وأبي بكر ، أو بين أبي لهب وعمر بن الخطاب، إذن لماذا وقفت مع إيران ضد العراق ومع إيران في عدوانها على الخليج ومحاولاتها المكشوفة من أجل السيطرة على الحرمين؟! * هل أنت يساري شيوعي؟ .. إن الذي نعلمه أن المعسكر الشيوعي لا يثق بك ولا يعتبرك من المنتمين إليه ولا حتى من المؤيدين ، وما تظنه أسراراً يذكره عامة الناس وخاصتهم ، وآخر هذه الأمور تأييد الخبراء السوفييت للانقلاب الفاشل ضدك ، وهؤلاء الخبراء ومن وراءهم خدعوك فيما أسميته مصانع أسلحة.. * هل أنت عبيدي باطني؟ وقد زعمت في بعض تصريحاتك أنك قريب للخميني، ورغم تناقضاتك الكثيرة فلا زلت ثابتاً على موقف ودي من إيران وحلفائه في بلاد الشام؟!

* أم أنت أمة وحدها ، لا تدين ولا تؤمن بغير مزاجيتك ، وهذه المزاجية تلتقي حيناً مع الإسلام في موقف من المواقف، وحيناً آخر مع القومية العلمانية وهكذا، وهذا هو الأرجح، وهنا مكن الخطر.

أيها العقيد العجيب: ثق أننا والله نحب أن نتوب إلى الله سبحانه وتعالى ، وتطهر قلبك من الكفر الذي طالما أعلنته في إذاعتك وأجهزة إعلامك، وتحفظ لسانك من النطق بالكفر والفسوق والعصيان، وتغير أفعالك المنكرة الشنيعة .. يسرنا يا أيها العقيد أن تفتح صفحة جديدة ناصعة بيضاء في تاريخ ليبيا وتغلق صفحة كالحة سوداء لم يشهدها هذا البلد المنكوب في ظل استعمار الطليان وطغيانهم .. ننصحك صادقين

أيها العقيد إن أردت التغيير أن تغير القناعات التي في عقلك .. وأن تتخلى عن المزاجية، ثم تتلف الكتاب الأخضر وتقلع عن الكتابة لأنك لست أهلاً لها، وتحترم قبل ذلك دين الأمة .. نعم أن تحترم عقيدة الأمة، فالمسلم قد يصبر على الذل، وقد يصبر على الجوع، وقد يصبر على الحرمان ولكنه لا يصبر ولا يسكت عن تأديب كل من يمتن دينه ، وإذا غلب على أمره بعض الوقت فسوف ينفجر البركان لا محالة ويجتث الطغاة وينتصر المسلمون على الظالمين المفسدين.

لقد أردت أيها العقيد - كما أراد أساتذتك من قبل - أن يعبدك الناس من دون الله وأن يكون كتابك الأخضر مقدماً على القرآن الكريم ، ولبثت من عمرك عشرين عاماً تقتل وتبطش وتسجن ثم ما الذي حدث!؟

إن الذين تربوا في مدارسك وجامعاتك ومعاهدك من الشباب لا يكرهون شيئاً كما يكرهون نظامك، ولا يحتقرون شيئاً كما يحتقرون كتابك الأخضر، وسيبقى هذا موقفهم حتى لو أصبح الكتاب أسود أو أحمر، ولا يقدمون شيئاً على حب الله ورسوله.

أيها العقيد العتيد: لا أظنك تفهم هذه الحقيقة لأن المنصب يعمي قلب صاحبه، وكذلك كان من قبلك لا يتعظون ولا يعتبرون، وليست مشكلتك مع هذه الجهة الإسلامية أو تلك .. إن مشكلتك مع الإسلام، ومشكلتك مع كل من يدين بالإسلام مهما كان انتماءه وجنسيته وإقامته.

لبيتك تفهم أيها العقيد أن الأرحام التي أنجبت عمر المختار وصحبه ما زالت تنجب رجالاً يحبون الموت كما تحب أنت وجماهيرك ولجانك الحياة ... وأن الرجال الذين قهروا الطليان وسجلوا أنصع الصفحات في تاريخ المسلمين الحديث ما زالوا هم الرجال لأن الإسلام العظيم هو الذي صنع هؤلاء وأولئك ... وأن الأرض الطيبة لا تزال هي الأرض بنعمة الله وفضله.

فليتك أيها العقيد تثوب إلى رشدك وتثوب إلى ربك وتكفر عن جرائمك وظلمك قبل أن يأتي يوم لا ينفعك فيه الندم.

جهاد المسلمين في أفغانستان

يمر بأخطر مراحل

عود على بدء

لا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر .. أن يكون حيادياً في موقفه من الغزو الشيوعي لأفغانستان، وانطلاقاً من هذه القناعة، ولأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، لهذا وذاك وقف المسئولون

عن المنتدى الإسلامي إلى جانب إخوانهم المسلمين الأفغان، وقدموا كل ما يقدرون عليه، وكانوا يعيشون بقلوبهم وعواطفهم ومشاعرهم مع المشردين الأفغان في محنتهم ومصيبتهم ، ومنذ بداية المعارك كان أهل المنتدى يرون وجوب وحدة المجاهدين الذين يجمعهم منهج أهل السنة ، وعليهم جميعاً أن يترفعوا عن المصالح الشخصية والعقلية القبلية ويكونوا على قلب رجل واحد ، وسجلنا هذه المعاني وغيرها في أول عدد من أعداد " البيان " على شكل رسالة مفتوحة إلى المجاهدين الأفغان ، وفي عدد آخر تحدثنا عن باكستان ودورها تحت عنوان باكستان أمام التحديات.. وعندما أعلن الشيوعيون عن مبادرتهم في إنهاء الحرب قدمنا دراسة شاملة في " البيان " تحت عنوان (جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحلـه)، ثم رأينا أن نجمع المقالات بل الأبحاث الثلاثة في كتاب.. ونحن إذ نقدم هذا الكتاب إلى قراء " البيان " نرجو أن يكون من وراء ذلك فوائد كثيرة وعبر عديدة.

وقبل بضعة أشهر بدأت أجهزة الإعلام العالمية تتحدث عن اتفاق أمريكي سوفياتي حول أفغانستان ، وفي ٩ / ٢ / ١٩٨٨ أعلن " غورباتشوف " الأمين العام للحزب الشيوعي الروسي أن جيش بلاده سيبدأ في الانسحاب من أفغانستان ابتداء من ١٥ مايو / ١٩٨٨ ، وسيتم انسحاب جميع القوات السوفياتية خلال عشرة أشهر. وقد اطلعنا على الأخبار والبيانات الصادرة عن هذه الجهة أو تلك، والتصريحات الرسمية الصادرة عن الدول الكبرى والصغرى فما وجدنا شيئاً جديداً نضيفه على ما سبق ذكره في بحثنا السابق (جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحلـه). ومن أهم أقسام هذا البحث ما يلي :

* المبادرة السوفياتية وليست أفغانية.

* هل يرغب السوفييت في الانسحاب من أفغانستان.

* وهل يقبل السوفييت الانسحاب دون قيد أو شرط.

* أهدافهم من وراء المبادرة.

* موقف المجاهدين من المبادرة.

* أين مواطن الخلل؟

* وما النصر إلا من عند الله.

مرة أخرى نقول من يقرأ هذا البحث بإمعان لن يجد جديداً ، وهذا من فضل الله وتوفيقه ، والذين ينطلقون من مناهج ثابتة ويتحررون من ضغط العاطفة ، ومن الرغبة في تسجيل مواقف يرضون بها هذه الجهة أو تلك يستطيعون رصد الأحداث ، وفهم الواقع بدقة ، ولا يتناقضون في تحليلاتهم ومواقفهم. واستجابة لرغبة قرائنا سنكتب عن الأحداث الجديدة ولكن سنتناولها بإيجاز ، ونريد من إخواننا المسلمين أن يراقبوا هذه الأحداث بدقة ويعلموا من خلالها كيف تتغير

الأحوال عندما تتفق الدولتان العظميان على موقف من المواقف ووعي المشكلة جزء من حلها.

* رفض سكرتير وزارة الخارجية الأمريكية التعليق على موقف بلاده من حكومة المجاهدين ، وقال: سمعت بها الآن ، ثم بدأت أجهزة الإعلام تنقل عن إدارة البيت الأبيض عزمها على إيقاف المساعدات التي تقدمها للأفغان.

* المصادر الرسمية السوفيتية والغربية والأمريكية تدعو إلى وجوب عودة ظاهر شاه وتشكيل حكومة ائتلافية ، كما تدعو إلى ضرورة اشتراك السياسيين الأفغان المقيمين في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا بهذه الحكومة ، وهؤلاء السياسيون الذين يتحدثون عنهم عملاء للغرب وخصوم للإسلام والمجاهدين.

* مصادر سوفيتية وغربية تتساءل : لماذا لا تشارك المنظمات الأخرى؟ يعنون : المنظمات الرافضية الهزيلة مثل : حركة إسلامي - آية الله محسني - الشورى والاتفاق - آية الله بهنشتي ، وغيرهما.. في اتحاد المجاهدين السبعة ويريدون من وراء هذا أن تكون الأكثرية المطلقة ضد الإسلام السني.

ولهذا جاء في بيان غورباتشوف الأنف الذكر : "إننا نعتقد أن إيران الدولة المجاورة لا يجب أن تظل بمعزل عن أية تسوية سياسية في أفغانستان".

ونذكر القراء بما ذكرنا في أبحاثنا الماضية عن دور إيران ، كما نذكر القراء بتعاون نظام الآيات وعمالهم داخل أفغانستان مع الشيوعيين السوفييت ، وعند المجاهدين حقائق مذهلة عن مثل هذا التعاون.. وبكل أسف فقد سمعنا أن بعض المجاهدين يهدد إذا أخرج من باكستان في الالتجاء لإيران ، فليتنكر هؤلاء مواقف إيران بجدية... وليتنكر كيف يعاملون الأفغان السنة في إيران :

والمستجير بعمره حين كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار وتحاول الهند بالتنسيق مع السوفييت إشراك إيران في حل مشكلة أفغانستان ، وتصرح باكستان بأنها تطلع إيران على كل ما تجريه من مفاوضات تتعلق بهذه المسألة.

وهؤلاء المجاهدون الأبطال الذين قدموا آلاف الشهداء ، وسجلوا أروع الصفحات في تاريخ أمتنا الإسلامية الحديث ، ونالوا إعجاب العالم وتقديره.. هؤلاء المجاهدون الأشاوس تغير أسلوب الحديث عنهم في الصحف وأجهزة الإعلام العالمية وقسمتهم إلى قسمين :

* معتدلون.

* متطرفون.

فالمعتدلون - مجددي وكيلائي ومحمدي - وهم الذين ينادون بعودة ظاهر شاه وتشكيل حكومة ائتلافية ، وهم الذين يريدون الخير لبلدهم وما إلى ذلك من ألفاظ رقيقة وألقاب فضفاضة.

أما المتطرفون فهم الذين نعرف بأنهم يريدون أن يحكموا شرع الله في بلدهم..
أصبحوا الآن متطرفين وسيقال غداً بأنهم دعاة عنف وإرهاب ، وأنهم متعطشون
لسفك الدماء...

وكما قلنا في أبحاثنا السابقة ، ستغلق في وجوههم الأبواب التي كانت مفتوحة ،
وستمنع عنهم المساعدات ، وسوف تهاجمهم أجهزة الإعلام ، وسيتأثر بهذه الدعاية
المسمومة كثير من المغفلين الذين يغيرون قناعاتهم بسهولة ويسر.
وليعلم إخواننا أن الجنة حفت بالمكاره ، والنار بالمغريات ، والمهم إرضاء الله
سبحانه وتعالى ، و حذار مما يسمى بالحكومة الائتلافية أو الحيادية فليس هناك شيء
اسمه الحياد، وكيف يكون الإنسان حيادياً بين الشيوعية والإسلام ، أو بين العلمانية
والإسلام؟ بل كيف يكون هناك ائتلاف بين أعداء الله وعبده الطائعين الراكعين. قال
تعالى : ((فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ، وَتُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُذْهِنُونَ)).

إن أعداء الله جددوا تحالفهم واتفقوا أن لا تقوم في أفغانستان دولة مسلمة سنية
وسيشعلون نار الفتن ويستخدمون جميع التناقضات ، ونقاط الضعف في هذا البلد
المسلم، فحذار حذار أن توجه البنادق إلى غير صدور الشيوعيين والعلمانيين
الكافرين ، وكما قلنا سابقاً فأهم شيء في جهاد المسلمين الأفغان الاستقلالية ، ولن
يتمتعوا بالاستقلال إلا إذا انتقلوا إلى داخل أفغانستان واستفادوا من جبالها الشامخة ،
وجعلوا من أرضها مقبرة لكل أفاك أثيم.

ما نأمله من إخواننا المجاهدين أن يتعاملوا مع هذه المرحلة بنوايا خالصة ، وعزائم
قوية، وعليهم أن يرصوا صفوفهم ، ويحذروا من إرجاف المرجفين ، وتخذيل
المتعاسين الذين يبحثون عن أي حل في أفغانستان.. إن دماء وأعراض الملايين لا
يجوز بحال من الأحوال أن يستهان بها أو أن تهدر بموقف متسرع أو قرار غير
مدرس.. إنها الأمانة يجب الوقوف عندها طويلاً.. طويلاً.. ولا ندري لعلها بعون الله
تعالى وتوفيقه بداية نصر الإسلام التي لن تكون أيسر من الجهاد نفسه.. إن كثيرين
ممن صبروا على آلام الجهاد ولأوائه قد لا يطبقون الصبر على غنائم النصر ، ولا
يملكون كبح جماح شهوة السلطان والسلطة ، فتكون القاصمة القاضية.

ولنا في غزوة أحد وما تنزل عنها من الآيات عظة وعبرة.. - لقد صبر الأصحاب
على مرارة الطريق وآلامه ، وانتصروا في غزوة بدر ، وظنوا أن الجهاد قد انتهى
بهذا ، ودخلوا غزوة أحد ظانين أن النصر لهم لا محالة ، وجاءت الغنائم ، وضعفت
النفوس ، وبرز حظ الدنيا فكانت الهزيمة كما قال الله تعالى : ((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا
تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ))

حتى قال بعض الأصحاب. " .. والله ما علمت أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه
الآية...".

ولقد حذرنا الله تبارك وتعالى وبين لنا سبب الفشل والهزيمة وذهاب الريح فقال :
 ((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ))
 فالتنازع والتفرق ، وتنوع الاتجاهات ، وتوزع المقاصد وتنوع الولاءات إن لم يسبب
 الهزيمة - لا سمح الله - فهو بلا ريب سبب في تأخير النصر .
 إذاً فليستمر الجهاد ، وليكن من الداخل ، دون منة هذا الطرف أو ذاك ، أو وصاية
 هذه الجهة أو تلك ، وليكن بطريقة مدروسة ، وليكن بطريقة مستقلة .. جهاد دائم
 مستمر حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تبارك وتعالى .
 اللهم اجمع كلمة إخواننا المجاهدين على الهدى ، ووحدهم ، واربط بين قلوبهم
 بحبك ، اللهم خذ بأيديهم ، وكن لهم ولا تكن عليهم ، وارحم ضعيفهم ، واجبر كسرهم ،
 وسدد رميهم ، واخذل عدوهم .. اللهم أبطل بحولك وقوتك مكر الأعداء ، وأزل هذه
 الغمة عن هذه الأمة ، ورد أمة محمد إليك رداً جميلاً .. يا عزيز يا كريم يا واسع
 الفضل وعظيم الاقتدار... آمين... آمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

أخبار حول العالم

أوزبكستان

زيادة في السكان .. وتمسك بالإسلام

مراسل (بي. بي. سي) في موسكو : "جيرمي هاريس"

شن الحزب الشيوعي السوفييتي هجوماً عنيفاً على الأسلوب الإداري في إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التابعة للاتحاد السوفييتي. وذكرت جريدة "برافدا" لسان حال الحزب الحاكم أن المسؤولين في جمهورية "أوزبكستان" يسبحون في الفساد والتهاون في العمل. ويبدو مقال صحيفة برافدا وكأنه سيناريو يحكي مخاوف موسكو البالغة من شبح تحرك الجمهوريات الواقعة تحت هيمنتها في آسيا الوسطى التي بدأت الحياة تدب فيها. وتشكل المقالة عرضاً لعدد من أوجه القصور العام الذي تشهده هذه الجمهورية ، وكذلك الخمول واللامبالاة والفساد الإداري والمحسوبية ، كل ذلك مقترناً بظاهرتين اثنتين تمثلان السبب الرئيسي لمخاوف موسكو الشديدة وهما :

أ - تعاضم معدل النمو السكاني.

ب - استمرار ولاء السكان للإسلام.

وتقول الصحيفة: "إن الثلث فقط من عدد العاملين في أوزبكستان يمكن اعتبارهم عمالاً بمعنى الكلمة، وبما أن ظاهرة البطالة من الأمور المعترف بها رسمياً في المجتمعات الشيوعية ؛ فإن صحيفة برافدا تحاول تفسير هذه الظاهرة على أنها : إما وليدة غياب العمال عن وظائفهم ؛ أو انعدام جديتهم في عملهم.

وتضيف الصحيفة: إن معدل الولادات في هذه الجمهورية قد وصل إلى ثلاثة أضعاف معدلات الولادة في سائر الجمهوريات السوفيتية ، مما يستدعي تحسين طرق تنظيم النسل فيها (الدعوة إلى الحد من تناسل المسلمين). كما اعترفت الصحيفة بانتشار نفوذ الإسلام على نطاق واسع بين أهالي أوزبكستان ، وتقول الصحيفة : إن مسئولاً سابقاً في الحزب الشيوعي ساعد في بناء مسجد هناك !! وكانت موسكو قد عينت رئيساً جديداً للحزب في أوزبكستان في الشهر الماضي ، في محاولة للحد من تفشي ظواهر الفساد المذكورة ، ومع أن "البرافدا" لم تنتقده بشدة ؛ لكنها لم تترك لقرائها مجالاً للتفاؤل بأنه سينجح في مهمته هذه فعلاً.

فضائح أباطرة التبشير

"جيمي سويغارت" ٥٢ سنة، شخص يتقد حيوية، يقدم برنامج تلفزيوني باسمه ويصل إلى تسعة ملايين أمريكي. ويشرف على إمبراطورية للبث التلفزيوني التبشيري تقع في (باتون روج في ولاية لويزيانا) وأرباح هذه "الإمبراطورية" حوالي (١٥٦) مليون دولار سنوياً، وتبث برامجها إلى (١٤٠) بلداً، ويتبعها كلية لألف طالب لتعليم الإنجيل، وكنيسة تتسع لسبعة آلاف شخص، وهو معروف بموهبته الموسيقية، وبعدها للكاثوليك.

هذا المبشر (التاجر) سبق له أن أشرف على فضح منصرين آخرين يستخدمون التلفزيون لهذا الغرض، ففي العام الماضي شارك في كشف النقاب عن الفضيحة الأخلاقية لـ "جيم باكر" زعيم جماعة التبسيح بآلاء الرب، سكرتيرته "جاسيكا هاهن".

كما ساهم "سويغارت" في كشف فضائح "مارفن غورمان" المنافس له في نشاطه من "نيو أورليان" ، وقد أدى بهما التنافس على النفوذ إلى أن اتهم سويغارت غورمان بالفساد الخلقي وأثبت ذلك بالأدلة الدامغة التي أدت إلى تجريد "غورمان" من مناصبه الدينية، ومع أن هذا الأخير قدم شكوى لدى المحكمة ضد سويغارت مطالباً بمبلغ (٩٠) مليون دولار كتعويض عن التشهير به ، ونشر إشاعات خاطئة حوله ، إلا أن ذلك لم ينفعه.

أخيراً وقع سويغارت في الفخ ، وجاء دوره في مسلسل الفضائح ، حيث يبدو أن غورمان قد انتقم لنفسه ، فقد حصل على صور لسويغارت مع إحدى المومسات ، ويقول غورمان إن سويغارت قد اعترف بعد محادثة دامت ساعتين في سيارته أنه سبق أن كانت له علاقة مع "عدد كبير من العاهرات" ، وفي اليوم التالي انهار سويغارت باكياً أمام غورمان ومحاميه.

وقد صرح مصدر أن هذه الفضيحة سيكون لها أبعاد خطيرة على هذه المؤسسات التبشيرية المعروفة بـ Evangelical christians أكثر من فضيحة (باكر) العام الماضي.
وهذا المبشر (سويغارت) هو الذي تحدى الشيخ أحمد ديدات، وجرت بينهما المناظرة العلنية أمام الجمهور ، وصورت هذه المناظرة على شريط فيديو موجود في السوق.
وبعد: فهذه هي قصة هذا المبشر ، كما نشرتها الصنادي تايمز ١٩٨٨/٢/٢١

مشاهداتي في بريطانيا حادثان لهما معنى واحد

د. عبد الله مبارك الخاطر
الحادثة الأولى:

بطل هذا الحادث - إن جاز أن نطلق عليه كلمة بطل - شاب عربي من عصاة المسلمين كان يدرس في بريطانيا ثم أنهى دراسته وكره العودة إلى بلده بسبب الحرب التي لا يريد أن يكون جندياً فيها لا لشيء إلا لأنه لا يحب أن يموت، وليس أمامه للإقامة في بريطانيا إلا الزواج، وتزوج فعلاً من امرأة نصرانية إنكليزية من مقاطعة "ويلز"، وأهل هذه المقاطعة يحتفظون بشيء من الأخلاق والعادات الطيبة.. وكان الزوج وديعاً في بداية حياته الزوجية ، وكانت المسكينة تظن أنها سوف تعيش حياة سعيدة معه ، وطالما حلمت بالأولاد والمستقبل والاستقرار والهناء والنعيم. والزوج كان ممثلاً يظهر خلاف ما يبطن ، والزوجة عنده وسيلة للإقامة.. وبعد حين من الزمن عاد إلى الحياة التي ألفها.. عاد إلى الكاس والطاس.. عاد إلى استقبال وصحبة حثالة الناس.. عاد إلى الأفلام الماجنة المثيرة!! رفضت المرأة سلوك زوجها ، وحاولت إقناعه بتغيير مسلكه ، وذكرته بما كان بينهما من وعود قبل الزواج ، ولكن الطبع غلب التطبع ، ولم تجد المرأة أمامها إلا الانفصال عن هذا الرجل ، فانفصلت غاضبة حانقة عليه وعلى بلده الذي ينتمى إليه ، وعلى الدين الذي يدين به.
استغل أقرباؤها المتعصبون هذا الموقف أبشع استغلال، وأصقوا عيوب زوجها السابق بالإسلام، ودفعتها كثرة الحديث عن الإسلام إلى دراسته لتشتهر به وبكل من يدين به، وعند الغربيين جلد ومثابرة إذا بحثوا مسألة من المسائل .. وبعد أن قرأت مجموعة من الكتب التي أتيح لها الحصول عليها، وبعد أن زارت أكثر من مركز إسلامي وقابلت عدداً من المسلمين تبين لها عظمة الإسلام وصفاءه

وأنه دين الفطرة فأسلمت وحسن إسلامها وعلمت خطورة من ينتسب للإسلام ثم يتخلق بأمثال أخلاق زوجها السابق ، وأصبحت بحمد الله من العاملات للإسلام.

الحادثة الثانية :

شاب عربي مسلم كان يدرس في لندن، ولم يستطع إقناع نفسه أنه يعيش في لندن فعلاً، ومن الأمثلة على ذلك أنه كان يقود سيارته في الشوارع العامة المزدهمة وكأنه في صحراء مقفرة وليس له من يشاركه السير فيها، ولهذا فالرجل يسير بالسرعة التي يريدونها ولا يهتم بالإشارات الضوئية ، وكانت له حوادث كثيرة.. وذات مرة صدم امرأة مسنة وكان الحق معها، وكان صاحبنا المخطئ، ثم أطلق العنان لذلوله - عفواً لسيارته - وأدرك أن المرأة هلكت في أرضها، ولم يحاول إسعافها، وخشي من المحاكمة فهرب إلى بلده وترك دراسته وجاء ابن المرأة العجوز إلى المستشفى فوجد أمه قد فارقت الحياة، وبعد البحث والتحقيق علم أن الذي تسبب في الحادث عربي مسلم وأنه هرب وغادر بريطانيا، وكان الرجل لأول مرة يسمع بكلمة مسلم وإسلام - كما ذكر فيما بعد - فدفعه الغضب والفضول إلى دراسة شيء عن هذا الدين الذي خرج أمثال هذا الذي قتل أمه، وشاء الله له الخير والهداية، وشرح صدره للحق ، وعلم أن الإسلام يأمر بغير ما فعله قاتل أمه وأنه دين الحق والعدالة والحرية والمساواة ، فأعلن إسلامه ، وصلح حاله ، وكان لسان حاله ير دد كما كان لسان حال التي ذكرناها في الحادث الأول يردد :

ظلمته السنة تؤاخذ بهكم وظلمتموه مقصرين كسالى

استراحة البيان

إعداد : صالح الغفيلي

أولاً : قبس من النور :

قال الله عز وجل : ((وَالْعَصْرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ))

وقفه مع السورة :

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال :

في هذه السورة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدنا الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار ، وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها ، في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة.. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله..

إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار ، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار ، ليس هنالك إلا منهج واحد راجح ، وطريق واحد ناجح ، هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه .. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار ...

ثانياً : قيس من السنة :

المرور بين يدي المصلي :

عن أبي جهيم الحارث بن الصنمة الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه " رواه البخاري.

ثالثاً : من كلام السلف رضي الله عنهم :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " اطلب قلبك في ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن الكريم ، وفي مجالس الذكر ، وفي أوقات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك " الفوائد لابن القيم / ١٤٨

رابعاً : محبة الله :

قال ابن القيم رحمه الله...

في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة :

- ١- قراءة القرآن.
- ٢- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.
- ٣- دوام ذكره على كل حال.
- ٤- إيثار محابه على محابك.
- ٥- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته.
- ٦- مشاهدة بره وإحسانه.
- ٧- انكسار القلب بين يدي الله.
- ٨- الخلوة به سبحانه وخاصة في أوقات الاستجابة.
- ٩- مجالسة الأخيار.
- ١٠- مبادعة كل سبب يحول بين القلب وبين الله (مدارج السالكين ٣ / ١٧-١٨ "بتصرف").

من رسالة للأخ عبد الله المسفر نختار هذه الفقرة :

ذكر الذهبي في ترجمة عمرو بن العاص :

قال عمرو بن العاص : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية ، فقال عظيم منهم : أخرجوا إلي رجلاً أكلمه ويكلمني فقلت: لا يخرج إليه غيري ،

فخرجت معي ترجماني ، ومعه ترجمان حتى وضع لنا منبران ، فقال : ما أنتم؟ قلت : نحن العرب ، ومن أهل الشوك والقرظ ، ونحن أهل بيت الله ، كنا أضيق الناس أرضاً وشره عيشاً نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض ، كنا بشر عيش عاشه الناس. حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمتنا يومئذ شرفاً ، ولا أكثرنا مالاً ، قال : أنا رسول الله إليكم يأمرنا بما لا نعرف ، وينهانا عما كنا عليه فشفقنا له ، وكذبناه ، ورددنا عليه حتى خرج إليه قوم من غيرنا فقالوا. نحن نصدقك ونقاتل من قاتلك ، فخرج إليهم وخرجنا إليه وقاتلناه فظهر علينا ، وقاتل من يليه من العرب فظهر عليهم فلو يعلم من ورائي من العرب ما أنتم عليه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم فضحك ، ثم قال. إن رسولكم قد صدق ، وقد جاءتنا رسل بمثل ذلك وكنا عليه حتى ظهرت فينا ملوك فعملوا فينا بأهوائهم ، وتركوا أمر الأنبياء فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه وإذا فعلتم مثل الذي فعلنا فتركتم أمر نبيكم لم تكونوا أكثر عدداً منا ، ولا أشد منا قوة" (سير أعلام النبلاء ٧٠/٣-٧١)

هكذا كان العرب في الجاهلية في ظلمة يدركون شدتها حينما جاءهم الله بنور هذا الدين فأخرجهم من الكفر إلى الإيمان ومن الشك إلى اليقين.

لم يتردد هذا الصحابي لحظة واحدة أن يذكر تلك الصفات التي كان يحس بمرارتها بعد أن شم رائحة الإيمان ، وعاش في رحاب التوحيد "

صدق وصراحة وشجاعة ، وعدم خجل من ماضيهم المشين ، في الوقت الذي نجد كثيراً من المسلمين يحرصون على إبراز آثار الماضي والتي لا يحرصون على عرضها على الإسلام أموافقة له أم مخالفة؟ نحس بالهزيمة فنتمس شيئاً نفخر به ، وليس عندنا الشجاعة والإحساس بعظمة هذا الذين لتتخذة هو وحده - وهو كذلك - المفخرة الحقيقية ، ولذلك نجد قوماً يهتمون بالآثار فيبدلون جهوداً في البحث والتنقيب ليقولوا لغيرهم من الأمم : إن عندنا شيئاً كما عندكم حتى لو وصل بهم الأمر إلى الفخر بالأصنام لربما بحثوا ليشابهوهم في فخرهم ، فلا غرابة إذا رأينا أن النصر الذي نزل عليهم لم ينزل علينا ، وأن التمكين الذي سعدوا به لم نسعد به.

قديم جديد

الإنكليز حلقة الشر المفرغة

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله

نشرت في العدد ٢٤ من جريدة البصائر الجزائرية سنة ١٩٤٨ وأعدنا نشرها لما فيها من سداد الرأي وقوة التعبير.

أيها العرب :

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان ، منهم يبتدئ الشر وإليهم ينتهي ، وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل ، وجنادل مسمومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلي ، وطائف يمس ثم يخنس ، ووسوسة تلابس ثم تفارق ، ويزيدون عليه بأنهم لا يطردون بالاستعاذة ، وتذكر القلب ، ويقظة الشواعر ، وإنما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو الموابث ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة في الأعمال ، والإجماع المعقود على كلمة واحدة ككلمة الإيمان : " إن الإنكليز لكم عدو فاتخذوهم عدوا " . يرددها كل عربي بلسانه ، ويجعلها عقيدة جنانه ، ورببطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه .

قد غرکم أول الإنكليز فأعيذكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرح شره ، وافترض سره ، وانكشف لكم لينه ، عن الأحساك والأشواك ، وقد تمرس بكم فعرف الموالج والمخارج من نفوسكم ، قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحلل معادن النفوس منكم قبل أن يحلل معادن الأرض من وطنكم ، وعجم أمراءكم فوجد " أكثرهم من ذلك الصنف الذي تلين أنابيبه للعاجم ، وتدين عروبه للأعاجم .

قد علمتم أنه هو الذي وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لكانت الصهيونية اليوم كما كانت بالأمس حلماً من الأحلام يستغله (الشطار) ويتعلل به الأغرار .

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم في قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده ، وأنه في ظل انتدابه ، وبأسنة حرايه ، حقق صهيون مبادئ حلمه ، فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز ، وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف ، وفقراءكم بالمال ، حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ، ومهد الأرض بأيديكم وشاد المصانع بأيديكم ، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم .

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكاثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غلطوكم بالمشروع منها وغير المشروع .

ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا في دين الإنكليز؟!

وعلمتم أن بريطانيا هي التي جرت ضررتها البلهاء أمريكا إلى مجادّتكم وجرأتها على احتقاركم لتكديدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ، وأنها هي التي ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزمات وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويهاً بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقائل المعزّي ... يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

وقد لدغتم من الجحر الإنكليزي مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا ، وخذعتم من الجانب الإنكليزي كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا. خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم وكبراءكم ، ودعاكم إلى موائده الفقار (كذا ، ولعلها موائد القمار) فليبتم ، وما رأى منكم في كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعبائه والتعلق بأسبابه.

فيا ويحكم... أكلُ ذلك لأن الإنكليز أغنياء وأنتم فقراء؟ أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء؟ كلا... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم ، وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم ، فاقطعوا عنهم المددين يضيؤوا ويهزلوا ، واخذلوهم في مواطن الرأي واليأس ينخذلوا ، وعمرؤا جزيرتكم تخرب جزيرتهم ؛ إن لِبدة الأسد هي بعض أسبابه إلى زرع الهيبة في القلوب ، ولكن لبدة الأسد البريطاني لبدة مستعارة ، فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها الرهبة ، لأمسى الأسد هراً مجرد العنق ، معروق الصدر ، بادي الهزال والسهال.

إن الغنى عمل وتدبير ، فلو عملتم لكنتم أغنياء ؛ وإن الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وفطمها عن الشهوات ، وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم ؛ وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد.

هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي ، وكانوا عوناً للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد...

إنهم ينطوون لكم على العظام ، وإن في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيات ، وإن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا... ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة ، وفيكم مع ذلك الأذان السامعة ، والههم الطامعة ، وفي سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمتكم قدرها تقديراً ، وأوسعوها تحليلاً وتدبيراً.

إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى في ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم. فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة.

وإن هذه النقطة هي أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزي ؛ كما أنها أعسر امتحان للضمير العربي الذي يتمنى أن يتكفل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم؛ وإن الإنكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة ؛ وإنكم - أيها العرب - لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديدهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديدهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ، ووطن العرب ، فوق الأغراض والأشخاص.

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية؛ فحركوا في وجوههم تلك الكتلة متراسة يرهبوا ثم يذهبوا .
لمسنا في هذه الكلمة حقائق مريرة وأومأنا إلى قضايا يسوؤنا أن نزيد حماتها مداً .
ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ، وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية : " من كتم داءه قتله " .

قال الأصمعي :

سمعت أعرابياً يدعو الله وهو يقول :.
هربت إليك بنفسي - يا ملجأ الهاربين - بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتي بأنك أكرم من قصد إليه المضطرون ، وأمل فيما لديه الراغبون ، يا من فتق العقول بمعرفته وأطلق الألسن بحمده ، وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه كفاء لتأدية حقه ؛ لا تجعل للهوى على عقلي سبيلاً ، ولا للباطل على عملي دليلاً .

الصفحة الأخيرة

كيف تتجو من العقاب إذا كنت جاسوساً أو فاسداً؟! (١)

ربما تستغرب هذا العنوان وتشعر بالدهشة وتستنكر تشجيع الناس على التجسس والفساد، فهل يصح العفو عن الجاسوس أو إطلاق سراح فاسد الذمة؟!
الجواب : نعم ، إذا كان يضم إلى هاتين الصفتين صفات أخرى لا بد منها ومؤهلات لا يمكن تجاهلها .
أهم المؤهلات التي ترشح الجاسوس خرب الذمة في بلادنا للعفو عنه ، أو إطلاق سراحه أن يكون نصرانياً مثلاً ، والنصرانية دين قائم على التسامح! والكنيسة تخدم لترسيخ هذا المبدأ، فما إن تسمع بأحد "رعاياها" قد وقع في المصيدة حتى تهب للسعي لتخليصه، ومع أنها لا تتدخل في السياسة (كما تزعم) إلا أنها تجد من عون السياسيين وأهل السياسة ما يعجب ويغرب! .
أما إذا انضم إلى "نصرانية" هذا المجرم كونه يحمل هوية أجنبية - ونعني بالأجنبية غير العربية: أوروبية أو أمريكية تحديداً - فهذا المؤهل مؤهل ذهبي، إذ عن طريق التسامح مع حملة هذه الهويات نثبت أشياء كثيرة :
أ - نثبت تحضرنا وبعدها عن التعصب .

ب - ونثبت عدالتنا التي لا تحابي القريب ، وتبطش بالبعيد ، بل تدق عنق القريب ، وتقول للغريب: "خلاك الجو فبيضي واصفري".

ج- ونثبت أخيراً أننا أهل مصالح رخيصة وقريبة المدى لا أهل مبادئ نتحمل كل النتائج للدفاع عنها..

أما إذا وقعت في المصيدة لمجرد وشاية من شخص لم تدخل مزاجه (وكنت مسلماً، لا كنيسة تحنو عليك، ولا هوية أجنبية في جيبك تقيك شر العاديات) فاعلم أنك ستبقى هناك حيث تندب حظك أنك لم تكن ألمانياً جاسوساً أو إنجليزياً راشياً.

إلى أن يؤوب القارضان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل هذا إذا بقيت حياً....!

الهوامش :

(١) في ١١/٢٥/١٩٨٧ أطلقت بعض الدول العربية سراح أحد الجواسيس وكان قد منح الجنسية الألمانية عام ١٩٨٦ وكان حكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً. وفي ٢٥/٢/١٩٨٨ أفرجت عن البريطاني "جون سميث" الذي كان حكم عليه بالسجن المؤبد لرشوته مسئولين ، فنفذ بشركائه حكم الإعدام ، أما هو ففضى من مدة عقوبته ٧ سنوات فقط وتمتع بالعفو الذي جاء تعبيراً عن حسن نوايا هذه الدولة تجاه الشعب البريطاني.

تمت بحمد الله